صانع الأمطار

بقلم: جون جريشام
ترجمة وإعداد:
د. أحمد خالد توفيق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف

الرواية العشرون !

عشرون رواية صدرت من هذه السلسلة التى تحاول أن تنقل لك المختار من الأدب العالمى .. وبهذه المناسبة قررنا أن نقيم احتفالاً صغيراً :

سنقدم لك هذه الرواية الرائعة للأديب (جون جريشام) .

بعض الكتّاب يميل إلى التخصص فى كتاباته .. وقد عرفنا فى هذه السلسلة بالذات أن (ستيفن كنج) يميل إلى الرعب ، وأن (بيتر بنشلى) يميل إلى عالم البحار والكنوز الغارقة ، وأن (روبين كوك) و(مايكل كرشتون) يميلان إلى عالم الطب بمفرداته الغامضة ..

قديمًا ظهر أديب أمريكى هو (إيرل ستانلى جاردنر) ، الذى مال إلى التخصص فى عالم المحاماة والمحاكم ، وقدم لنا محاميه الأريب الوسيم (بيرى ميسون) ، وذلك فى سلسلة روايات لا تنسى .

اليوم نقدم لك أديبًا ثانيًا اهتم بعالم القضايا والمحاكم، هو (جون جريشام).

وقد صار اسمه فاتق الشهرة فى قوائم (أفضل المبيعات) .. وصار من المؤكد أن تتحول كل رواية له إلى فيلم سينمائى شهير بدوره ..

قدم لنا (جون جريشام) روايته الأولى الشهيرة (المؤسسة) فى عام ١٩٩١ .. وهى التى رأيناها فى فيلم قام ببطولته (توم كروز) باسم (الطاغية) ، ثم

قدم لنا روايته (ملف البجعة) ، التى تحولت إلى فيلم باسم (امرأة فى خطر) بطولة (جوليا روبرتس) حسناء (هوليوود) الرقيقة ..

كذلك نذكر لـ (جون جريشام) رواياته الشهيرة (العميل) ، و(الغرفة) ، و(وقت القتل) ..

كلها نجحت نجاحًا ساحقًا وبلغ عدد النسخ المباعة منها خمسين مليونًا .. والرواية التى بين يديك الآن صدرت عام ١٩٩٥ ، ويتم تحويلها إلى فيلم سينمائى حاليًا ؛ ربما تكون قد رأيته بالفعل عندما يتم طبع هذه الكلمات ..

قد يتساءل القارئ عن معنى العنوان .. سنعرف من الرواية أن (صانع الأمطار) هو مصطلح مهنى ، يعنى المحامى الذى يحقق صفقات كبرى ، وتعويضات هائلة لموكليه ..

تعالوا الآن معًا نتعرف عالم هذا الأديب الجديد ..

د. أحمد خالد

- ١ -

كان قرارى هو أن أكون محاميًا .. لكنى اضطررت إلى إلغائه حين أدركت أن أبى يكره مهنة القانون ..

كنت فى ذلك الوقت مراهقًا أخرق محبطًا من الحياة ، مرتبكًا من خجله ، وقد أزمع أبى أن يرسلنى إلى إحدى المدارس العسكرية .. فقد كان مجندًا سابقًا فى الأسطول ، يؤمن أن الصبية يجب أن يتربوا على السياط .. وكان قراره أن أذهب بعيدًا .. واحتجت إلى أعوام طوال كى أسامحه على ما فعل ..

كان أبى مهندسًا صناعيًا يعمل سبعين ساعة أسبوعيًا فى شركة تصنع - ضمن ما تصنع - السلالم .. ولأن السلالم بطبيعتها خطرة ؛ صارت شركة أبى هدفًا للدعاوى القضائية .. وصار أبى - مصمم السلالم - هو ضيف المحاكم الدائم .. لقد تكفل المحامون بجعل حياته تعسة .. ولهذا كان يمقتهم بشدة ..

فى النهاية أفلست الشركة .. وبالطبع كان اللوم كله على المحامين .. ولم يتكلم أحد عن سوء الإدارة الذى أدى إلى إفلاس الشركة ..

لأعوام طوال عاش يعاقر الخمر دون عمل ثابت .. واضطرنى هذا إلى أن أعمل ساقيًا أو أنقل فطائر (البيتزا) ، لأجد المال الكافى لشق طريقى فى دراستى الجامعية ، كنت قد التحقت بمدرسة للقانون .. وتقول أمى إنه لازم الفراش أسبوعًا بعد ما عرف الخبر ..

بعد هذا بأسبوعين كان عاكفًا على استبدال مصباح كهربى فى دارنا ، حين - وأقسم أن هذا حدث - سقط السلم به ، وهوى على رأسه وقضى عامًا فى غيبوبة ، حتى قرر أحدهم أن يرحمه ويوقف الأجهزة .

تلقت أمى مبلغ خمسين ألفًا من الدولارات قيمة بوليصة التأمين على الحياة .. وتزوجت من موظف متقاعد من (توليدو) .. ولم تعطنى سنتًا واحدًا من المال ؛ لأن لدىّ مستقبلاً يمكننى فيه أن أربح مالاً .. أما هى فلا تملك مستقبلاً .. ثم إننى قد أظهرت حتى اليوم براعة فى البقاء حيًا دون مال ..

سأنهى دراسة القانون فى (مايو) - أى بعد شهر - وسأجتاز الامتحان فى (يوليو) ، لن أكون طالبًا لامعًا بالتأكيد ، لكنى لن أكون فى النصف الأخير من صفى ..

كنت أدرس (المشاكل القانونية لكبار السن) ـ مادتى المفضلة ـ لهذا تجدنى جالسًا على هذا المقعد المتهالك ، فى هذا المبنى الحار الرطب المليء بسادة الماضى كما يحبون أن يسموا أنفسهم .. الجدران عارية إلا من صورة باهتة قديمة لـ (رونالد ريجان) بين علمين تعسين .. ويبدو أن البناية كلها قد تم تشييدها فجأة بحفنة من الدولارات تبقت من مال الحكومة ..

يوجد خمسون شيخًا هنا .. بعضهم ضرير .. وبعضهم على مقعد متحرك .. وبعضهم يرتدى سماعات أذن .. كانوا يجتمعون هنا لتناول الطعام ، ولربما زارهم مرشح سياسى لا يجد شيئًا آخر يفعله .

تعرفت فى هذه المصحة امرأة تدعى مس (بيرو سونج) .. وهى فى الثمانين من عمرها تمارس عمل الأم والطاغية ومنسق الأمور لهذا المجتمع ..

جلس أستاذنا (سموت) يرمق المشهد راضيًا عن سير الأمور ، كرجل انتهى من فوره من وجبة دسمة .. لقد ظلّ هذا الرجل لمدة عشرين عامًا يعطى الدورات الدراسية التى لم يكن أحد من الأساتذة سواه يرغب

فى تدريسها ، ولم يكن أحد من الطلبة يرغب فى تعلمها .. كحقوق الأطفال ، وقوانين المعوقين ، ومشاكل المتخلفين عقليًا ..

وفى أول يوم ، قال لنا إن الغرض من هذه الدورة هو أن يجعلنا نلقى أناسًا حقيقيين لهم مشاكل قانونية حقيقية ..

ولا داعى للقول إننا كنا أحد عشر تلميذًا .. وبعد شهر من محاضرات (سموت) المملة صرنا أربعة فقط .. إنها دورة تعليمية لا تساوى شيئًا ولا تتطلب منك أى عمل .. وهذا هو ما جذبنى إليها ..

كان هذا أول لقاء لى مع عملاء حقيقيين ، وجعلنى هذا أشعر بالهلع .. وقد جلس المسنون أمامى يحدقون فى كأنما أملك حكمة هائلة .. ربما لأننى أرتدى بذلة داكنة ، ومعى (بلوك نوت) أرسم فيه مربعات ودوائر ، ووجهى متصلب فى تغطية ذكية ..

كان معى (بوكركين) الزنجى .. أفضل صديق لى فى المدرسة .. وكان مثلى خائفًا .. وعلى مائدة أخرى جلس (ف . فرانكلين دونالسون) الرابع .. وهو مخلوق أحمق مغرور ، لا يستطيع أن يذكر اسمه

دون حروف قبله وأرقام بعده ، ثم تأتى (إليزابث إركسون) وهى حسناء مبهرجة...

أرجوك يا إلهى لا تدع هذا يحدث لى .. أعطنى خمسين عامًا من العمل والمتعة ثم أمتنى وأنا نائم .. لا تجعلنى شيخًا كهؤلاء ..

تقول مس (بيرد سونج) بصوتها الرفيع فى مكبر الصوت :

- « الآن - بالنسبة لبرنامج اليوم - يسعدنا أن يكون معنا الأستاذ (سموت) مع مجموعة من طلبته الأذكياء الوسيمين .. »

وتشير لنا .. وتبتسم عن أسنانها المصفرة .. وتستطرد ..

- « الأستاذ (سموت) يعلم القانون فى (ممفيس) حيث درس أصغر أبنائى كما تعلمون - لكنه لم يتخرج قط - وفى كل عام يزورنا مع تلاميذه الذين يصغون لمشاكلكم ويقدمون النصيحة ، التى تكون دومًا مفيدة ودومًا مجانية .. بروفسور (سموت) .. مرحبًا بعودتك إلى (سيبرز جاردنز) .. نحن نحبك .. شكرًا .. »

وتتراجع .. وهى تصفق .. وتنظر لزملائها كى

يفعلوا الشىء ذاته .. لكن أحدًا لا يصفق ..

ينهض الأستاذ (سموت) إلى المنصة ، وينظف حلقه .. بينما تعود مس (بيرد سونج) إلى مقعدها ، وتهمس بصوت مسموع لرجل شاحب الوجه :

- « كان لا بد أن تصفقوا ! »

يقول (سموت) بصوته الرفيع :

- « من اللطيف دومًا أن أزوركم فى (سيبرز جاردنز) .. »

ويتحدث عن مستقطعات الميزانية ، والرعاية الصحية ، وأقساط التأمين .. وأشعر بالخمول يتسرب إلى عينى .. وأرى أحد الشيوخ ينظر إلى ساعته كل عشر ثوان ..

فى النهاية يشكر (سموت) مس (بيرد سونج) ، ويعد أن يعود فى العام القادم ... وينصرف فلا يصفق أحد كالعادة ..

فى حيرة وبطء يتقدم الشيوخ نحونا ..

يتقدم أحدهم إلى الآنسة (إيريكسون) ، ويتوجه شيخ زنجى إلى (بوكر) ليخبره بمشاكله .. أسمع كلامًا ما عن زواج وطلاق .. يدون (بوكر) ملحوظاته

فى اهتمام كأنه محام حقيقى يعرف ما ينبغى عمله ..
فى النهاية بدأت أشعر بأننى وحيد .. جالس فى غباء ، بينما زملائى يدوّنون الملحوظات ويهزون رءوسهم .. ويبدو أن ضيقى ظهر للجميع .. إذ جاءت مس (بيرد سونج) وجلست أمامى ..
مدت يدها فى كيس نقودها ، وأخرجت مظروفًا .. ثم قرّبت رأسها من رأسى لتهمس :
- « أنت من أريد .. »
كانت هذه هى استشارتى الأولى كمحام ..
قطبت المرأة وجهها ، وكان معنى هذا أن أبقى صوتى ورأسى منخفضين .. فما ستقوله الآن خطير كالجحيم .. وكان هذا يناسبنى جدًا لأننى لا أريد أن يسمع أحد النصيحة العرجاء البلهاء التى سأقدمها لمشكلتها ..
قالت لى المرأة وهى تفتح المظروف :
- « اقرأ هذا ! »
سبحان الله ! هذه وصية .. الوصية الأخيرة لـ (جانيس كولين بيرنسونج) .. ومن حسن حظى أننا تلقينا فى العام الماضى دورة تدريبية فى فنّ كتابة

الوصايا .. وقد شعرنا أننا صرنا محترفين لهذا الإجراء .. إنها مجرد وثائق يمكن لأقل المحامين خبرة أن يكتبها دون أخطاء ..
عرفت من القراءة أن المرأة أرملة لها ابنان ، وجيش من الأحفاد .. لكننى توقفت عند الفقرة الثالثة .. يقول الكلام : إن منفذ الوصية يجب أن يعطى لكل من ابنيها مليونين من الدولارات ، بالإضافة إلى مليون يودع لكل حفيد من أحفادها !
قمت بالعدّ فوجدت أن الوصية تتضمن اثنى عشر مليونًا من الدولارات ..
همست المرأة لى كأنما سمعت هدير الآلة الحاسبة فى ذهنى :
- « استمرّ فى القراءة .. »
فى الفقرة الخامسة تترك المرأة خمسة ملايين للكنيسة ، ومليونين لكلية ، وقائمة إحسان طويلة تبدأ بـ (جمعية مرضى السكر) وتنتهى بحديقة حيوان (ممفيس) .. إن المرأة تملك عشرين مليونًا من الدولارات ..
لكن الوصية ليست على ما يُرام .. إنها ليست

محكمة أو دسمة كما يجب .. إن الأغنياء يستعملون وصايا دسمة مركزة مليئة بالأساليب القانونية المعقدة ، التى يجيد استعمالها محامو الشركات ..

سألتها :

ـ « من كتب صيغة الوصية لك ؟ »

ـ « محامىّ السابق .. لقد توفى بالسرطان فى العام الماضى .. »

لحسن الحظ أنه ميت .. فالوصية ملأى بأخطاء مهنية جسيمة .. مثلها مثل المرأة التى لا تبدو ثرية على الإطلاق .. بل ترتدى ثيابًا رثة تدعو للشفقة ..

سألتها ما إذا كان لديها محام .. فقالت :

ـ « ما كنت لأسألك النصح لو كان لدىّ محام »

إن الجشع شىء غريب .. إننى سأبدأ العمل فى (يوليو) مع (برودناكس) و (سبير) .. وهى شركة محاماة صغيرة لم أكن أتمنى العمل فيها لكن للضرورة أحكام .. لكم سيدهش (برودناكس) لو ظهرت له ومعى عميلة تملك عشرين مليونًا من الدولارات !

سأصير صانع الأمطار فى شركتهم .. سأصير النجم اللامع ذا اللمسة الذهبية .. يمكننى وقتها أن أطالب بمكتب أكبر ..

ـ « أنت تعلمين أن هناك مالاً كثيرًا هنا .. »

ـ « لا تذكر هذا المال .. »

ـ « حسن .. لكن لا بد من استشارة محامى ضرائب .. إن هذا يوفّر عليك طنًا من المال ستدفعينه للضرائب .. »

وضعت يدًا مبرقشة باللون البنى على معصمى .. وقالت :

ـ « لا أهتم بهذا .. إننى أريد شطب ورثتى من الوصية .. فأنا أكرههم .. لا أريد أن ينالوا شيئًا .. لا شىء .. »

وضغطت على معصمى بعنف .. لم تكن غاضبة فحسب ، بل متألمة كذلك ..

سألتها :

ـ « إذن من يحصل على المال ؟ »

وشعرت أننى ساحر يستطيع أن يهب الثراء للناس بكلمة واحدة يقولها ..

قالت لى :

ـ « الحق أننى لا أدرى من يستحق هذا المال ؟ »

ماذا عن مليون دولار لى ؟ إن صاحب المسكن سيطردنى قريبًا لأننى لم أدفع الإيجار من شهرين .. وهأنذا أجلس مع مليونيرة حائرة بصدد منذ يحصل على كم من المال !

كانت هناك أربعة أسماء كتبتها فى عامود ضيق .. وقالت :

ـ « هؤلاء هم الأحفاد الذين أريد أن يرثونى .. أعط كلاً منهم مليونًا .. أما الباقون فلا شىء .. إنهم لا يرسلون لى هدايا ولا بطاقات .. »

لو كانت لى جدة تملك عشرين مليونًا لأرسلت لها زهورًا كل أسبوع .. وبطاقات كل يوم .. وشيكولاتة كلما أمطرت السماء ، ولاتصلت بها مرتين يوميًا .. وآخذها يوم الأحد إلى الكنيسة .. ويدى فى يدها .. سأعتنى بجدتى المليونيرة حقًا !

قلت لها :

ـ « ولا شىء لابنيك ؟ »

ـ « لا شىء .. »

ـ « وماذا فعلا لك ؟ هل لى أن أسأل ؟ »

نظرت لى كأنما تكره أن تخبرنى بالسبب .. ثم مالت على مرفقيها وقالت :

ـ « حسن .. (براندون) الأكبر فى الستين من عمره ، وقد تزوج لثالث مرة من متشردة صغيرة السن لا هم لها إلا المال .. إننى لأفضل إعطاء مالى لك يا (رودى) على أن أعطيه لابنى ! سأتبرع بكل ما بقى من مالى لـ (كينيث تشاندلر) .. هل تعرفه ؟ إنه يظهر فى التليفزيون .. »

ـ « هل تعنين ذلك الداعية الدينى فى التليفزيون ؟! »

ـ « نعم .. إنه أكثر من داعية .. إنه معلم ومستشار .. ورجل وسيم لا يصبغ شعره .. لقد اتصلت به وأخبرته بنيتى فى ترك ثروتى له .. تحمس جدًا وعرض أن يجىء لزيارتى بطائرته الخاصة فى أى وقت .. »

ـ « وماذا عن ابنك الآخر ؟ »

ـ « آه ! (ديلبرت) ! إنه يعيش منذ ثلاثة أعوام فى (فلوريدا) .. اشطب .. اشطب .. اشطب ! »

شطبت الاسم بقلمى .. هو ذا السيد (ديلبرت) يفقد ملايينه بجرة قلم منى ..

وافترقنا على وعد بأن أعود لها بعد أسبوعين بصياغة الوصية الجديدة .. من المريح أن أعرف أن (سموت) سيكون هناك ليساعدنى .. وأن أمامى أسبوعين أعرف خلالهما ما ينبغى عمله ..

أنا لا أشعر بأننى غبى .. لكننى بالتأكيد غير كفء .

تلفتّ حولى ، فوجدت فى الصف الثانى زوجين ينظران إلىّ .. كنت المحامى الوحيد المتوافر .. كانا مترددين كأنما هما بحضرة أحد النسور القانونية العظيمة.

جاءا إلى منضدتى ، والمرأة تحمل كومة من الأوراق مربوطة (بأستك) من المطاط .. مرحبًا بكما فى مكتبى ..

- « مرحبًا .. أنا (رودى بايلور) .. »

قالت المرأة :

- « أنا (دوت) .. وهو (بادى) .. »

فسألتها :

- « والاسم الكامل ؟ »

- « نحن آل (بلاك) .. الكل يسموننا كذلك .. إننى معوقة .. وزوجى يتقاضى معاشًا صغيرًا .. إنه مصاب فى حرب (كوريا) .. شظية داخل رأسه .. وهو مدمن كحول كذلك .. »

إن هذه المرأة التى قابلتها منذ دقيقة قد اكتفت بتحويل زوجها إلى مجرد معتوه مخمور .. ورأيتها تدسّ لفافة تبغ بين شفتيها المتشققتين ..

قالت لى :

- « ليس لدينا كثير مال .. »

إنها لا تدرك أنه مهما بلغ فقرها فهى أكثر ثراء منى .. على الأقل لن تُقدم للمحاكمة تقريبًا .. إنها تشعر بأنها تخلصت من أعبائها وتركت مشكلتها لصانع معجزات ..

- « إن لدينا مشكلة مع شركة تأمين .. بوليصة طبية اشتريناها منذ خمسة أعوام حين كان طفلنا فى السابعة عشرة .. الآن يموت (دونى راى) بسرطان الدمّ بينما هؤلاء النصابون يرفضون دفع ثمن علاجه .. إن الشركة تدعى شركة (الفائدة العظمى) .. »

- « لم أسمع عنها .. »

قلتها بثقة كأننى أعرف كل شىء عن كل شركة تأمين فى العالم ..

قالت المرأة وقد بدأت ترتاح إلىّ :

بها لا تدرك مهما بلغ فقرها فهى أكثر ثراء منى .

- « لقد دفعت كل الأقساط . ولم أفكر فى استعمال هذا الشىء اللعين حتى أصيب (دونى راى) بالسرطان منذ ثمانية أشهر .. لا بد من زرع النخاع .. إن نخاع أخيه يناسبه ، لكن الجراحة تكلف خمسمائة ألف دولار .. المفترض أن يدفعها الأوغاد فى شركة التأمين لكنهم يأبون .. »

سألتها سؤالاً تسمح إجابته بإعطائى وقتًا يسمح لى بالكتابة :

- « أين يعيش ابنكما ؟ »

- « إنه معنا فى البيت .. لم يفارقه قط .. وهذا سبب آخر لتخلى شركة التأمين عنا يقولون إن البوليصة لا تعطيه بعد ما صار بالغًا .. ويقولون إن مرض (دونى) كان موجودًا قبل استخراج البوليصة .. لقد استعملوا كل حيلة فى كتبهم .. إن الأطباء مدهوشون ويقولون إن الشركة يجب أن تدفع .. »

مددت يدى إلى كومة الأوراق ، فوجدت خطابًا يحمل شعار الشركة (الفائدة العظمى) .. خطابًا مباشرًا مختصرًا وبذيئًا جدًا .. يقول :

- « عزيزتى مسز بلاك .. »

فى سبع مناسبات سابقة أنكرت شركتنا حقك فى المطالبة .. وللمرة الثامنة والأخيرة نكررها .. إنك غبية .. غبية .. غبية ! »

رحت أطالع الورقة غير مصدق ..

فى العام الماضى تلقيت دورة فى قوانين التأمين ، وكان أستاذها شيوعيًا يكره شركات التأمين ، ويؤكد أن هناك حالات تفوق الحصر من رفض شركات التأمين للدفع .. لكن أغلب الضحايا لا يصعدون الأمر لدى المحاكم ..

بدا لى الأمر واضحًا .. فلو كان مرض الشاب هو سرطان الدم ؛ فمن المستبعد أن يكون مصابًا به منذ خمسة أعوام .. عندها لا بد للشركة أن تدفع .

لكنى أعرف أن القانون لا يحوى شيئًا واضحًا أو منطقيًا . وما دام الأمر بهذا الوضوح فى نظرى ؛ فلا بد أن هناك خطأً قاتلاً فى هذه الأوراق .. لا بد أن موقف الشركة قوىّ حقًا ..

قلت لها :

- « أحتاج إلى بعض الوقت لأراجع كل هذا .. »

- « يحسن أن تسرع .. لأن (دونى راى) لن

ينتظر كل هذا .. هل ترى أملاً ما ؟ »

مازلت طالبًا أدرس القانون .. لكنى تعلمت كلام المحامين ذا المعنيين .. لذا قلت :

- « حقًا لا أستطيع أن أقول فى هذه المرحلة .. يبدو الأمر واعدًا لكنى أحتاج إلى دراسته أكثر .. سأراكما خلال أسبوعين .. »

هذان الزوجان يعهدان بحياة ابنهما لى .. طالب فى السنة الثالثة من مدرسة الحقوق .. يظنان أننى سآخذ الهاتف وأجرى بعض المكالمات .. عندها تسقط شركة التأمين جاثية على ركبتيها .. وينجو ابنهما من السرطان ، والأدهى أنهما يريدان أن يتم هذا بسرعة !

كنت أعرف أن البوليصة تحوى استثناء محكمًا لا يكاد يقرأ .. ولا يمكن فهمه .. لكنه موضوع هناك بوساطة عباقرة التحايل القانونى .. ليكون شركًا للبسطاء الذين يظنون أنهم قادرون على استرداد حقوقهم ..

بدأ الجمع يتفرق .. هذا يكفينى اليوم ..

إن جهلى بالقانون مروّع .. كيف سأقف فى المحاكم بعد أشهر لأترافع أمام القضاة والمحلفين ؟

إن مدرسة القانون لا جدوى لها سوى أن تشحننا بمحاضرات لا تنتهى .. لو أننى قضيت خمسين ساعة أسبوعيا طيلة السنوات الثلاث الماضية أتدرب على يد محام بارع ، لصرت محاميًا بارعًا أنا الاخر .

إن (سموت) يعدنا بمناقشة هذه المشاكل فى الصف الأسبوع القادم .. أكاد لا أطيق صبرًا حتى أسمع رأيه ..

انصرفت مع (بوكر) فى سيارته (البونتياك) .. إن (بوكر) متزوج ولديه طفلان .. لهذا يدرس بجهد ويحقق درجات لا بأس بها ، ويعمل فى ذات الوقت لدى شركة قانونية بمرتب قدره أربعون ألفًا من الدولارات فى العام .

قلت له ونحن ننصرف من مؤسسة العجزة :

- « أنا أمقت مدرسة القانون .. »

- « هذا يعنى أنك طبيعى .. »

كلما تذكرت الامتحان الذى سأجتازه ارتجفت .. لو أننى رسبت فلن أحصل على عمل لدى (برونناكس) ، وكل السادة الظرفاء المهذبين هناك ؛ ولن يكون أمامى سوى البطالة والتسكع والضياع .. إن الرسوب

شىء غير وارد فى خططى للغد .. فمعناه هو الجوع ببساطة ..

حكيت له عن عميلتى الأولى الثرية ، وكيف أنها تبرعت بجل ثروتها لواعظ تلفزيونى وسيم .. قلت له إننى سأسأل (سموت) .. فلربما استعان بأحد أساتذة الضرائب ليساعدها .. على كل حال إن لدىّ مشاكلى الخاصة قبل شركة (تكساكو) التى ستقاضينى من أجل دين قدره أربعمائة دولار ، وصاحب المسكن الذى يوشك على طردى ..

يجب أن أتحمل حتى ألتحق بالعمل عند (برودناكس) ، عندها أصير ثريًا .. ما أكثر ما يمكن عمله بأربعة وثلاثين ألف دولار سنويًا لمن هو مثلى ، ممن اعتاد الحياة بملاليم .. وقتها سأشترى أحذية وربطات عنق .. وبعض الطعام الذى لا يباع فى علب ..

* * *

- ٢ -

أجلس فى المكتبة وسط كتب القانون العتيقة .. يوشك هذا المكان أن يكون محجوزًا باسمى أنا .. فيه درست وكتبت .. إننى أعذب نفسى طيلة الوقت فيه ..

فى هذا المكان أستطيع أن أصرخ دون أن يقبض علىّ .. أحيانًا كانت (سارة) تجلس معى - المقعد جوار المقعد - حيث نقهقه ونتهامس فلا يعبأ بنا أحد .. والمشكلة هى أننى كلما جلست هنا تذكرتها .. فأشعر بسكين تمزق فؤادى .. هاهنا كانت منذ أسابيع والآن هى ملك رجل آخر ..

ها هى ذى الكتب الخاصة بالتأمين .. أفتح أوراق الزوجين (بلاك) .. كانت (سارة) هى الفتاة التى أحببتها طيلة حياتى ، وقد تخلت عنى منذ أربعة أشهر من أجل من يدعى (إيفى ليجر) .. إنها تمقت أن تفعل ذلك بى .. لكن الحياة يجب أن تمضى ، هكذا قالت ..

أراجع نص البوليصة .. لا أفهم شيئًا كأنها مكتوبة باللغة السنسكريتية .. رحت أفكر فى (ماكس لوبيرج)

أستاذنا الشيوعى الزائر الذى يمقت شركات التأمين .. إنها تحكم البلاد كما يقول ، وتسيطر على البنوك ، وتملك الثروة كلها ..

ألخص ما ورد فى قضية الزوجين .. ثم أتجه إلى مكتب الأستاذ ..

كان الباب مواربًا وسمعته يعوى فى الهاتف ، فطرقت الباب برقة .. ودخلت . رجل نحيل هو له شعر بلون القش ، ويدان لا تسكنان .. إنه نشيط جدًا إلى درجة تجعلنى عصبيًا ..

أشرح له ملخص قضية الزوجين (بلاك) ، وهو يصغى باهتمام .. ثم سألته عما إذا كان قد سمع عن شركة (الفائدة العظمى) ، فقال :

- « نعم .. إنها تبيع الكثير من بوليصات التأمين الرخيصة للبسطاء .. إنهم لا يعلنون عن أنفسهم .. إن عملاءهم من النوع الذى يقرع الباب . دعنى أر البوليصة .. حسن .. ما هو أساس رفضهم ؟ »

- « كل شىء .. ينكرون أن سرطان الدم تتضمنه الوثيقة .. يقولون إن سرطان الدم كان سابقًا للبوليصة .. يقولون إن المستفيد بالغ الآن أى أن البوليصة لا تشمله .. »

- « وهل تم دفع كل الأقساط ؟ »

- « مسز (بلاك) تؤكد ذلك .. »

- « الأوغاد ! »

قالها وابتسامة شيطانية على ثغره .. كان مولعًا بهذه الأمور ..

قدمت له (خطاب الغباء) إياه .. فابتسم غير مصدق .. قلت له :

- « هذا هو كل شيء .. مسز (بلاك) تقول إن ابنها لن يعيش طويلاً .. »

- « الأوغاد المقتون ! »

كل أساتذتي أكاديميون جدًا يرتدون ربطات العنق ويزررون كل أزرار ستراتهم ، لكن (ماكس) يختلف .. فهو لم يرتد ربطة عنق طيلة حياته ..

ودعته على وعد بلقاء باكر .. لكم أحبَ هذا الرجل ..

مررت على استراحة الطلبة ، فوجدت المغرور الأحمق (ف. فرانكلين دونالسون) الرابع يتهامس مع بعض رفاقه زرق الدماء .. فلما رآني سألني :

- « هل ستعمل لدى شركة (برودناكس) حقًا ؟ »

- « هذا ما أنتويه .. »

- « ألم تسمع عن موضوع دمجها مع شركة أكبر ؟! »

دمج ؟ ما هذا الخبر الغريب ؟

عدت إلى المكتبة .. يجب أن أتصل بـ (لويد بك) الذي عينني في شركة (برودناكس) .. لم أكن أريد الاتصال من الاستراحة .. يجب ألا يرى أحد معالم الهزيمة على وجهي ..

ضغطت الأرقام الستة لشركة (برودناكس) .. تسع رنات ثم سمعت من يتساءل عن المتكلم ..

- « هاللو .. أنا (رودي بايلور) .. أريد الاتصال بـ (لويد بك) لأمر ملحّ .. »

- « أنا (كارسون بل) .. (لويد) في اجتماع ولا نستطيع استدعاءه .. اتصل بعد ساعة .. »

- « لقد سمعت عن اندماج شركتكم مع شركة (بريت) .. أهذا صحيح ؟ »

- « (رودي) .. أنا مشغول .. اتصل بعد ساعة .. »

سألته بفزع وقنوط :

- « هل ما زال لي عمل عندكم ؟ »

قال وهو يضع السماعة :

- « اتصل بعد ساعة .. »

ذهبت إلى الحديقة لأركب سيارتى (التويوتا) المتهالكة . إن أسوأ أسرارى هو أننى مدين بثلاثمائة دولار للشركة التي أعطتنى قطعة الخردة هذه ..

لقد كذبت على (بروكر) .. فهو يظن أننى دفعت ثمنها ..

* * *

- ٣ -

ليس سرًا أن المحامين كثيرون فى (ممفيس) ..

قالوا لنا هذا حين التحقنا بمدرسة القانون ، وقالوا لنا أيضًا إن المدينة مزدحمة بشكل مفزع .. هنا وفى كل مكان .. ، وإن بعضنا سيقتلون أنفسهم فى الدراسة لكنهم لن يجدوا عملاً بعد التخرج ..

لهذا كنت راضيًا فخورًا بالوظيفة التى سأنالها فى (برودناكس) . لكن هذا الأمل تلاشى فجأة .. أشعر بغصة فى حلقى وأنا أقود سيارتى ..

لا يوجد مكان لخريج صغير مثلى فى شركة مثل (بريت) .. لماذا يحتاجون إلى شركة قوامها خمسة عشر رجلاً مثل (برودناكس) ؟ لقد مات (برودناكس) منذ أعوام .. و (سبير) هو زوج ابنته برغم أنه طلقها منذ زمن ..

كانت شركة (برودناكس) تعمل أساسًا فى مجال حوادث السيارات .. ربما كانت شركة (بريت) بحاجة إلى تدعيم عملها فى حوادث المرور .. من يدرى ؟

فى العام الماضى قام عدد كبير من زملائى بمسح المدينة بحثًا عن عمل .. وبالتالى من الواضح أنه لا يوجد عمل آخر لى ..

دخلت مبنى الشركة .. وكدت أستقل المصعد حين رأيت وجهًا مألوفًا .. إنه (رتشارد سبين) .. وهو رجل لطيف المعشر دعانى للغداء مرتين ..

كان يجلس على مقعد رخامى ووجهه مثبت على الأرض ..

جلست جواره وسألته عما هنالك .. كان تائهًا .. أدار رأسه نحوى .. وببطء همس :

ـ « لقد طردونى ..! »

عيناه حمراوان كأنما كان يشرب الخمر أو يبكى ..

ـ « من ؟ »

ـ « لقد طردوا كل غير المثبّتين هنا .. لقد نادانا (بك) إلى غرفة الاجتماعات ، وقال لنا إن الشركة قد بيعت لشركة (بريت) ، وأن أمامنا ساعة كى نخلى مكاتبنا من متعلقاتنا .. طبعًا أنت تتساءل عن وظيفتك ؟ انسها ! لقد وصل الفأس إليك مثلنا ! »

ـ « ولماذا يطردونكم ؟ »

لم أكن مهتمًا بمصيرهم .. لكنى حاولت أن أبدو مخلصًا ..

ـ « كان (بريت) بحاجة إلى عملائنا .. ولكى يحصلوا عليهم اشتروا شركتنا .. ولم يعد لنا وزن بعدها .. هل تعرف كم حققتُ من مال العام الماضى ؟ ثمانين ألفًا ! عملت كالعبد سبعين ساعة أسبوعيًا وتجاهلت أسرتى .. فجأة يطلب الأوغاد منى الرحيل ! بل إن ضابط الأمن جاء يراقبنى فى أثناء أخذ متعلقاتى .. ثم أعطونى ساعة ذهبية ، وقالوا لى كم أنا عظيم .. هل تدرك يا عزيزى أنك طردت من العمل قبل أن تتسلمه ؟ »

ومسح عينيه .. ووضع يده على كتفى :

ـ « لا أحد يعيّن أحدًا فى هذه المدينة .. يوجد جيش من المحامين الملاعين .. »

فارقته وأنا أرتجف ..

ركبت المصعد إلى الطابق الرابع ، فرأيت حارسًا يقف جوار الاستقبال .. سألنى مزمجرًا :

ـ « هل أستطيع مساعدتك ؟ »

عرفته بنفسي .. فالتقط مظروفًا عليه اسمي من فوق المنضدة ، وأعطانيه .. فتحته وأنا أعرف ما به .. يقول الخطاب إن الاندماج كان سريعًا ويتمنى لي حظًا سعيدًا .. رميت الخطاب على الأرض .. أراهن على أنهم بالداخل ينتظرون رحيل كل المنحوسين مثلي ، وينصتون وراء الباب إلى ما يقال بالخارج ..

ثمة تمثال جوار الباب لوجه (برونشاكس) .. بصقت عليه .. أزحته .. عندها سقط الرأس أرضًا وتهشم ..

- « هيه ! » - سمعت صوت الحارس من ورائي .

فكرت لجزء من الثانية أن أعتذر ، ثم قررت أن أفر .. اندفعت عبر درجات السلم حتى وصلت للطابق السفلي .. لم يستطع اللحاق بي ..

إنها السابعة .. لقد حلّ الظلام ..

اشتريت بعض الجعة وهكذا بقي معي أربعة دولارات .. لم آكل شيئًا منذ تناولت الغداء في دار رعاية العجزة .. ليتني ملأت بطني جيدًا ..

ليتني ملأت بطني بذلك الجيللي الأصفر الذي اشمأززت منه وقتها ..

* * *

- ٤ -

شقتي ذات الغرفتين تقع في مبنى متهالك ، وتكلفني خمسة وسبعين دولارًا في الشهر نادرًا ما أدفعها في الوقت المناسب

ظلت هذه الشقة مسكنًا لي طيلة ثلاثة أعوام .. ولكم فكرت في هجرها حين أتلقى شيكًا شهريًا من (برونشاكس) ..

نزلت من سيارتي فوجدت رجلا يخرج من سيارته ، ويتجه نحوي ..

- « هل أنت (رودي بايلور) ؟ »

كان راعي بقر عاديًا .. ملتحيًا . له شعر محلوق بعناية .. ويمضغ اللادن ..

- « نعم أنا .. »

وناولني بعض الأوراق في وجهي .. فسألته :

- « ما هذا ؟ »

- « دعوى قضائية ! »

- « من شركة (تكساكو) ؟ »

- « يب .. كما أن هناك حكمًا بطردك من مسكنك ..

كل شىء هنا .. موعد المحاكمة .. أسماء المحامين .. آسف .. إن هذا عملى على كل حال .. »

يا له من عمل ! التسلل فى الظلام .. ترويع الآمنين .. إلقاء الأوراق فى وجوههم .. ثم الانسحاب ليفزع شخصًا آخر ..

قبل أن يرحل قال لى :

ـ « اسمع .. أنا شرطى سابق ولدىّ جهاز لاسلكى فى سيارتى .. سمعت رجال الشرطة يبحثون عن (رودى بايلور) الذى أحدث تخريبًا فى مكتب محام فى المدينة .. عبث فى ممتلكات خاصة .. ولو كنت مكانك لبحثت عن مكان آخر أقضى فيه ليلتى .. »

وابتعد بسيارته الفاخرة ..

* * *

فتح لى (بوكر) باب شقته .. كان يرتدى روبًا وحافى القدمين .. ومن ورائه بدت زوجته (شارلين) ، وسمعت طفلاً يبكى فى مكان ما .. إنها الثالثة صباحًا وقد أيقظت الجميع ..

قال (بوكر) وهو حانق كأب أثار ابنه حفيظته :

ـ « اجلس .. تبدو ثملاً .. »

ـ « إنها قصة طويلة .. »

وضعت (شارلين) قدحًا من القهوة الساخنة أمامى ..

رلمس يخفق .. حكيت له كل أحداث اليوم .. لسانى ثقيل .. إن والد (شارلين) قس .. ولهذا لم تكن تطيق السكارى ..

لقد كان يومًا عصيبًا جدًا .. يجب أن أجد وظيفة .

ـ « عندك مشاكل أكبر .. إن الامتحان بعد ثلاثة أشهر .. ولو تمّ اعتقالك الآن لكان فى هذا ضياع مستقبلك .. »

ـ « أفكر فى هذا .. هل لى فى شطيرة ؟ »

وسألتنى (شارلين) :

ـ « ماذا عن بعض اللحم والبيض ؟ »

ـ « لا بأس .. »

راح (بوكر) يفكر .. يجب أن أتصل بـ (مارفين شانكل) .. يجب منع اعتقالك بوساطة البوليس .. إن (شانكل) هو أشهر محام زنجى فى (ممفيس) ويمكنه أن يفيدك ..

شممت رائحـة اللحم المحمر قادمة من المطبخ ..
وشعرت بأننى آمن دافئ وربما محبوب كذلك ..
لهذا - كطفل - راحت عيناى تنغلقان ..
ونمت حيث أنا ..

* * *

- ٥ -

فى الصباح أيقظنى (بوكر) بأخبار مطمئنة . انـه تحدث مع (مارفين شانكل) . وقد رأى المحامى ان الأمور قابلة للحل ، وقد تحسن الموقف كثيرًا .

رحت - بعقـل مضطـرب - أدون ما ينبغـى على عمله .. سأذهب إلى مكتب الاستخدام وأبكى بدل الدموع دمًا .. من يدرى ؟ ربما كانت هناك هيئـة حكومية ما لديها وظيفة قانونية لفظهـا كل الخريجين الاخرين ..

قابلت الأستاذ (مـاكس لويبرج) فى وقت غـير ملائم .. كان يثرثر فى الهاتف ملوحًا بيده .. وهو يطلق اللعنات كبحار ثمل ..

حاولت التشاغل عنه ، ورحت أخط رسوما فى دفتر مذكراتى ..

مد يده إلى أوراقه .. وسد السماعة بيده ليقول لى :

- « لقد ظفرت بهم ! »

- « من ؟ »

- « شركة (الفائدة العظمى) .. لقد قرأت الملف »

ثم وضع السماعة منهيًا المكالمة ، وقال وهو يسترخى فى مقعده :

- « حالة تقليدية من التأمين بالأقساط .. يسمونه تأمين الشوارع .. بوليصات تأمين رخيصة تُباع من باب لباب .. وعندما يحين الوقت يعتذرون : نحن آسفون .. إن تأميننا لا يسرى على هذه الحالة ولا تلك .. ويكون زبائنهم من البسطاء الذين يهابون المحامين ونظام العدالة .. فلا يرفعون الأمر للقضاء أبدًا .. »

- « وماذا لو رفعت عليهم قضية ؟ »

فرقع سلامياته وغمغم :

- « للأسف لا يحب المحلفون أن يجعلوا من البسطاء أصحابًا للملايين .. إن هذه (تنيسى) يا (رودى) .. لا أحد ينال تعويضات هائلة هنا .. إن المحلفين متحفظون .. لكنها قضية لا بأس بها .. ليست ممتازة لكن لا بأس بها .. وعليك أن تقاضى شركة الأوغاد هذه .. »

- « لست محاميًا مرخصًا لى .. »

- « لست أنت .. أرسل الزوجين إلى محام نشط

يقظ .. أجر مكالمات هاتفية وتوصيات .. اقرأ المزيد عن قضايا رفض دفع التأمين .. »

وناولنى الأوراق عبر المنضدة ..

* * *

يقع مكتب الاستخدام فى الطابق الرئيسى من مدرسة القانون .. أقرأ لائحة الإعلانات .. بنظرة سريعة أدرك ما أعرفه بالفعل .. لا يوجد سوق للعمل فى هذا الوقت ..

كانت (مادلين سكينر) تدير المكان من عشرات السنين ، ودائمًا تقول الإشاعات إنها ستتقاعد .. لكن هذا لا يحدث .. ربما هى تستعمله كوسيلة للضغط على العميد ..

إنها امرأة فى الستين لها شعر رمادى ، وتجاعيد كثيفة حول عينيها ، وهى تجيد عملها .. فهى تعرف الناس المناسبين فى الشركات المناسبة .. إلا أن عملها يزداد صعوبة لأن الطلاب القانونيين يتزايدون .

طرقت الباب فوجدتها بالداخل تمسك كوب ماء ،

ولفافة تبغ . صحيح أن التدخين ممنوع لكن أحدا لم يجرؤ على إخبارها بذلك ..

– « يوم صعب اليس كذلك ؟ لقد تحدثت إلى (بيك) .. سمعت عن اندماج فى شركة (بروديناكس) ، وكنت مهتمة بأمرك .. فأنت الشخص الوحيد الذى عيناه هناك .. وقلت له إنه تسبب فى تدمير مستقبل تلميذ من تلاميذى وتشاجرنا على الهاتف . »

ثم أردفت :

– « كان يجب أن يناقشوا الأمر معك . لقد انتهى عصر العبودية . لست ملكا لهم يحق لهم نقله أو إبقاؤه . حمايته أو إيذاؤه . تعيينه أو طرده . »

إنها عبقرية . هذا هو ما أريد قوله بالضبط .

إنها تحاول أن تعزينى كأن ما حدث لى شىء بسيط . من يحتاج إلى العمل لدى شركة تمنح خمسين ألف دولار فى العام ؟!

– « إذن ماذا تبقى لى ؟ »

– « لا شىء فى الواقع .. كان عندى منصب مساعد المدعى العام .. باثنى عشر ألف دولار فى العام .. لكنى منحته لـ (هال باسترينى) . »

ثم وضعت أوراقها على المكتب ونصحتنى :

– « أنصحك بأن تبدأ بطرق الأبواب .. هناك ثلاثمائة محام صغير فى المدينة .. كلهم لا يتعاملون معى .. اطرق بابهم .. اعرض عليهم العمل فى (ملفات السمك) الخاصة بهم .. »

– « ملفات ماذا ؟ »

– « كل محام عنده (ملفات سمك) .. قضايا تتراكم فى مكتبه ، ومع الوقت تتزايد رائحتها عفنا . ويتمنى المحامون لو لم يكونوا قبلوها .. »

ملفات السمك ؟ هذا هو الكلام الذى لا تتعلمه فى مدرسة القانون ..

سألتها :

– « هل لى أن أسأل سؤالا ؟ كم مرة قلت هذه الكلمات فى الأشهر الماضية ؟ »

نظرت إلى ورقها .. وقالت :

– « لدينا خمسة عشر خريجا يبحثون عن عمل . وهم يمسحون الشوارع الآن .. »

قلت لها وأنا أنهض :

- « شكرًا جزيلاً .. من اللطيف أن يلقى المرء من يهتم .. »

- « لا عليك .. سأستمر فى البحث .. عُد لى فى الأسبوع القادم .. »

* * *

- ٦ -

يقع منزل مس (بيردسونج) على بعد ميلين من مدرسة القانون .. شارع محاط بأشجار البلوط العتيقة وبعض منازل جميلة جدًا ..

منزل من الطراز الفكتورى يحتاج إلى دهان وإلى سقف جديد ..

خطوت إلى الباب الأمامى ، وتلفتَ حولى فى حذر متوقعًا رؤية كلب عملاق يكشر عن أنيابه .. إن الوقت متأخر ولا توجد أضواء ..

قرعت الباب لأنه لا يوجد جرس .. حمدًا لله .. لا كلاب هنا ..

تبرز مس (بيردى) بذات الثوب القطنى الذى قابلتها به أمس .. سألت عن الطارق فقلت لها إنه أنا .. طالب القانون الذى كان معها البارحة .. إنها تعيش وحدها فى هذا البيت المرعب ، مقتنعة إن الأسرة تخلت عنها .. يا لها من مخلوقة حزينة وحيدة مثلى ..

تقودنى عبر الردهة ، وتضىء الأنوار بينما نحن نمشى ..

رائحة العطن فى المكان .. والسجاجيد المغبرة ..

أدخلتنى إلى المطبخ .. وسألتنى أأريد قهوة أم شايًا ؟ قهوة .. دون قشدة ولا سكر من فضلك ..

- « إن لك منزلاً جميلاً يا سيدتى .. »

- « لقد مات (توماس) منذ أحد عشر عامًا .. وفى هذه الدار تربى ولدانا .. دعنا نتكلم عنك .. »

إنه موضوع أفضل عدم التطرق إليه ..

ورحت أتأمل المكان .. لو كانت هذه المرأة تملك حقًا ملايين الدولارات فلا شك أنها تجيد إخفاء ذلك .. أثاث رخيص .. أطباق عتيقة .. ثياب رثة ولا خدم ولا كلاب ..

وضعت قدحى أمامى .. كان باردًا تمامًا والقهوة شنيعة المذاق ..

سألتنى :

- « متى ستبدأ عملك كمحام ؟ »

- « سيكون هذا عسيرًا فى البدء .. لكن مع الإخلاص والاجتهاد لا داعى لأن أقلق بصدد اجتذاب العملاء .. »

- « يا لك من شجاع ! إن المهنة بحاجة إلى أمثالك .. »

إننى آخر شىء تحتاج إليه المهنة .. مجرد محام جائع آخر يذرع الشوارع محاولاً أن يجعل شيئًا يحدث .. أن يسبب مصيبة يعتصر بها الدولارات من عملائه المفلسين ..

قلت لها :

- « لنعد إلى موضوع وصيتك .. لقد ظللت أفكر فيها طيلة الليل .. أرجو أن تسامحينى على ما سأقول .. إنه ليضايقنى ويضايق كل محام أن يرى عميلاً يتخذ إجراءات صارمة ضد أسرته . ثانيًا : عندى مشكلة فى كتابة وصية تمنح كل ثروتك إلى شخصية تلفزيونية .. »

- « إنه رجل الرب .. »

- « أعرف .. لكن لماذا تعطينه كل شىء ؟ »

- « لقد صارت طائرته بالية .. »

- « وجهة نظرى هى أن كثيرًا من هؤلاء نصابون .. لا أعنى بهذا أنه نصاب .. لكن .. »

ثم قطعت عبارتى .. وسألتها :

- « أين تضعين مالك ؟ »

- « فى (أطلانطا) .. إنها قصة طويلة يا (رودى) ..

وأولادى لا يعرفون حقيقة ما عندى من مال .. هم يعرفون طبعًا أن زوجى (توماس) مات تاركًا لى مائة ألف من الدولارات .. لكنهم يجهلون كل شىء عن (أطلانطا) .. لقد جاء المال من زوجى الثانى (تونى) .. لقد مات منذ عامين .. وقبل موته بيومين مات أخوه الثرى المجنون ، وورث (تونى) الثروة .. ثم بعد يومين صرت وارثة لهذه الملايين .. »

نترك المطبخ ونتجه للفناء الخلفى نرمق نافورة المياه ..

لقد عاشت المرأة حياة توحى بأنها تعتمد على مدخرات لا بأس بها .. لكن أحدًا لا يتصور لحظة أنها بهذا الثراء الفاحش ..

وهى لا تتمنى أن يعرف أحد بالأمر خاصة أسرتها ..

* * *

نترك المطبخ ونتجه للفناء الخلفى نرمق نافورة المياه ..

- ٧ -

أواصل البحث عن عمل فى مكاتب المحاماة الصغيرة ..

حاولت العمل فى مبنى قبيح يقطنه محام مختص بقضايا حوادث الطريق .. لكن السكرتيرة بدت فاترة . تناولت أوراقى وملفاتى باشمئزاز كأنها مبتلة بالبول ووضعتها على المكتب .. وأخبرتنى انها تقابل يوميًا خريجًا يبحث عن عمل ..

هكذا . يبدو أننى سأجرب ثلاث شركات يوميًا ، خمسة أيام فى الأسبوع ؛ حتى أتخرج .. وعندئذ .. من يدرى ؟ يوجد كثيرون يبحثون عن عمل لى .. ربما ينجح شىء ما ..

دخلت شركة أخرى قريبة أجرب حظى .. إنهم يمارسون عمل العقارات الذى لا أتحمله .. لكن لا خيار لى ..

قالت السكرتيرة الحسناء :

- « إن مستر (منلى) مشغول حاليا .. »

أعرف أن المحامين مشغولون دائما .. لا يوجد

محام فى العالم يقبل ان تقول سكرتيرته إنه ليس غارقا فى العمل .. ينفتح الباب ويدخل رجل دون معطف ، وينظر لى فى ود ويسألنى عما أريد فأرد :

- « أريد مستر (منلى) .. »

- « أنا هو .. »

- « اسمى (رودى بايلور) .. طالب قانون .. أبحث عن عمل .. »

- « اه .. عمل ؟ »

وينظر لى ثم لها كأنما يسألها كيف سمحت لهذا أن يحدث .. ثم يسمح لى بعشر دقائق لأنه ذاهب للمحكمة حالا . وأدرك من رقته أنه منذ وقت قصير كان على نفس جانب المدفع مثلى . إنه يفهم ..

سيصغى لى .. لكنه قد رتب جيدا رحيلى صفر اليدين ..

فى غرفته رحت أتأمل عشرات الشهادات المعلقة على الحائط .. حكيت له قصة عملى مع (برودناكس) لاعبا على وتر كراهية المحامين الصغار للشركات الكبرى .. إنه لن يستأجرنى . هو يضيع الوقت فقط .

- « أنا مستعد لأن أعمل .. إن درجاتى طيبة فى مادة العقارات .. »

سألنى وهو يتأمل أوراقى :

- « كم يدفعون للمحامين الشباب ؟ أنا لا أعرف حقًا .. »

لا داعى للكذب .. هو بالتأكيد يعرف .. كل المحامين يحبون الثرثرة ..

- « فى شركة (بريت) يتقاضى المحامى الشاب خمسين ألفًا .. »

- « أنت تمزح ! »

- « لست باهظ الثمن لهذا الحدّ .. »

لقد قررت أن أبيع نفسى رخيصًا لكل من يقبل .. اى عمل لمدة عامين قد يتيح لى فرصة أفضل فيما بعد ..

- « سأعمل بخمسة وعشرين ألفًا .. ثمانين ساعة أسبوعيًا .. سأتولى كل (ملفات السمك) .. سأتولى كل عمل مملّ لا يرغب سواى فيه .. سأنهيه خلال ستة أشهر .. جرّبونى لمدة عام فحسب .. »

كان الإغراء شديدًا .. أن يتخلص من كل هذه القاذورات فوق مكتبه .. لكن الدقائق العشر قد انتهت فصافحنى ، ووعدنى أن ينظر مع شركائه فى الأمر ..

إن المشكلة ليست فى أجرى .. المشكلة هى أن الشركة ناجحة جدًا الآن ولا أحد يرغب فى التوسع .. لكنه سينظر فى الأمر حتمًا ..

وانصرفت من مكتبه شاعرًا بأننى ابتذلت نفسى حقًا ..

ما كان هناك داع لكل ما قلت ..

* * *

- ٨ -

كان علىّ فى الأيام التالية أن أذهب للمحكمة لأنهى إجراءات إعلان إفلاسى .. إن (التفليسة) ليست بالسوء الذى حسبتها به ، ويوجد كثيرون من الناس يواجهون الظروف ذاتها مثلى ..

مازلت اواصل البحث عن مكتب قانونى لم يدخله سواى من قبل .. وذات يوم أزمعت أن أزور الزوجين (دوت) و (بادى بلاكلى) فى عنوانهما الذى أعطيانى إياه .. كانا يعيشان فى شمال المدينة .. منطقة يعيش بها أصحاب المعاشات والبيض والزنوج رقيقو الحال ..

كان كلبان شرسان من (الدوبرمان) يحرسان مدخل الدار .. الجو حارّ .. وكل النوافذ والأبواب مفتوحة . أقرع الباب فى حذر ..

تأتى المرأة إلى الباب وتنظر لى .. أقول لها إننى (رودى) .. تقابلنا منذ أسبوع فى (سييرز جاردنر) .. كنت أتولى قضيتها ضد (الفائدة العظمى) ..

- « ماذا تريد ؟ »

تسألنى وهى تنفخ دخان سيجارتها .. المنزل من الداخل رطب ولزج .. أسألها عن (بادى) كأنه صديق قديم لى .. فتشير إلى النافذة :

- « هل ترى هذه السيارة القديمة هناك ؟ »

سيارة فورد بيضاء عتيقة ، لها بابان ، وقطة تستريح فوق الكبّود ، الأعشاب تحيطها وليست لها عجلات .. وتردف المرأة :

- « ابتعنا هذه السيارة عام ١٩٦٤ .. هو يجلس فيها طيلة اليوم .. »

يبدو لى الأمر منطقيًا .. إن جلوسه فى السيارة يعنى ابتعاده عن رائحة دخان التبغ .. وعن القلق على ابنه المريض .. »

- « إن عقل زوجى ليس على ما يرام .. قلتها لك من قبل .. »

أقول لها وأنا أناولها أوراقها :

- « لقد بحثت فى حالتك كثيرًا .. يجب أن تقاضوا الشركة .. »

- « كم من الوقت تستغرق المحاكمة ؟ »

- « إن المحاكمات تطول .. والشركة تملك حتمًا

عشرات المحامين الذين يكسبون رزقهم من المماطلة .. »

- « سيموت ابنى خلال أشهر !! »

أسمع صوت سعال من مؤخرة المنزل .. واضح أنه ابنها ..

قلت لـ (دوت) إننى راغب فى تولى القضية .. لكننى أحتاج إلى محام مؤهل مُرخَّص يضع اسمه على الأوراق ، إلى أن أجتاز امتحانى ..

سألتنى فى شك :

- « كم يكلف الأمر ؟ »

- « لا شىء .. » - ابتسمتُ ابتسامة دافئة - «سآخذ الثلث مما نحصل عليه فى النهاية .. نحن سنطالب بالملايين .. لن نحصل عليها بالطبع لكن ما سأناله سيكون مجزيًا .. هذا طبعًا بعد خصم تكاليف علاج (دونى راى) .. »

ضربت المائدة بقبضتها :

- « ليكن .. افعل ذلك الآن .. »

لم تكن تحلم بالمال .. لكنها كانت تتمنى فى صدق أن تجعل هؤلاء النصابين يعانون .. لهذا أعطتنى توكيلاً شفويًا بتولى القضية ..

وودعتنى إلى الخارج .. ألقت نظرة على عربتى المتهالكة ، وقالت شيئًا سيئًا عن الصناعة اليابانية .. وزجرت كلاب (الدوبرمان) .. ثم عادت للداخل ..

وفى تلك الأمسية زرت مس (بيردسونج) ، ولاحظت أن لديها غرفة فى دارها كان ابنها يعيش فيها .. عرضت عليها أن أستأجر هذه الغرفة ، فلم تر مانعًا .. لكنها اشترطت علىّ أن أساعدها فى العناية بحديقتها كشرط لإقامتى هناك . واتفقنا على إيجار قدره مائة وخمسون دولارًا فى الشهر .. إنها صفقة طيبة .. وأنا فخور بقدرتى على التفاوض فيها ..

* * *

- ٩ -

إن أول ما تحصل عليه فى مدرسة القانون هو الأعداء . هناك يتعلم الناس كيف يخدعون وكيف يطعنون من الخلف .. وهو تدريب جيد على الحياة العملية كما ترى ..

إننى حاليا أمقت ذلك الذى وضعنى فى هذا الموقف الكريه ..

ففى مدينتنا يصدر تقرير يومى عن النشاطات القانونية والمالية ، اسمه (ديلى ريبورت) .. ويتضمن كذلك قائمة بـ (التفاليس) .. وقد استمتع رفاقى بأن يضعوا اسمى فى هذه القائمة ، ووزعوا عشرات منها فى كل أرجاء المدرسة !

اختبأت فى ركنى المختار مبتعدا عن كل الوجوه المألوفة .. على كل حال سوف تنتهى الدراسة قريبًا ، وينتهى هذا الكابوس ..

* * *

كان العذر الذى قدمته لتهربى من حفل التخرج ، هو أن عندى لقاءات واعدة مع بعض شركات القانون ..

لكننى لم أستطع خداع أحد .. فالكل يعلم أننى اقرع الأبواب وأوزع أوراقى فى كل مكان بلا جدوى ..

إن حفل التخرج لا يهم لى بالتأكيد . ثم إن الحفل ممل ملىء بخطب القضاة الذين يحاولون إقناعنا بحب القانون ..

كذلك لا أريد أن ألقى (ساره بلاكمور) هناك ، وهى تبتسم للكاميرا مع خطيبها . ثم إن (مادلين) أخبرتنى أن كل خريج فى دفعتى قد عثر على عمل ما . ومعنى هذا أن أجلس بروب التخرج وغطاء الرأس الأسود وسط مائة من زملائى ؛ كلهم يعرفون أننى الوحيد فى الصف الذى لم يظفر بعمل ..

فى الوقت الذى دار فيه حفل التخرج الذى لن أحضره ؛ كنت أدخل مكتب المحاماة الخاص بـ (جوناثان ليك) ..

لقد قمت ببعض الأبحاث عن شركة (ليك) ، وهى شركة قوامها اثنا عشر محاميًا .. منهم سبعة يملك كل منهم سكرتيرة وكاتب محام .. تسمى هذه الوحدة (وحدة المحكمة) .. أى أن لدى الرجل سبع وحدات تعمل بشكل مستقل .. ينسق بينها (ليك) ..

كان (ليك) يحب بشكل خاص مقاضاة أطباء التوليد ، وقد حقق أرباحًا كبرى من ورائهم ..

أما النجم الصاعد فى الشركة فهو (بارى لانكستر) .. وهو محام فى الرابعة والثلاثين استطاع أن يرغم طبيبًا على دفع مليونى دولار .. وهو مطلق يعيش فى المكتب ..

كانت خطتى هى ألا أبدأ كمحام .. لم لا أبدأ ككاتب محام ؟ ستكون قصة رائعة يومًا ما حين أنجح وأملك شركة كبرى ..

إن لدىَ موعدًا فى الساعة الثانية مع (بارى لانكستر) ..

جلست فى الاستقبال أتأمل الجدران الفاخرة ، والسجاجيد الإيرانية .. ثم أدخلتنى السكرتيرة إلى متاهة من الممرات ، ثم إلى مكتب (بارى) ..

صافحنى .. هو قطعًا مشغول جدًا .. وقد وضع جهاز الهاتف بقربى كى أرى أضواء المكالمات تلتمع فى جشع طيلة الوقت ..

- « قل لى عن موضوعك .. ألم تكلمنى بصدد مشكلة شركة تأمين ؟ »

- « إننى أبحث عن عمل ! »

قلتها بجرأة .. ماذا أنا خاسر ؟ هو ذا يقطب .. يلتقط قطعة من الورق .. ويسألنى وقد شعر أنه خدع :

- « هل أنت كاتب محام ؟ »

- « أستطيع أن أكون ! »

وأقف حتى لا أدع له فرصة للتملص .. أحكى له كل شىء .. إن أجرى بسيط .. سأفعل كل شىء يطلبه .. أعرف أن خداعى له يضايقه .. لا ألومه لكنى أقدم له صفقة لا بأس بها .. سأعمل كالعبيد بأربعة وعشرين ألفًا من الدولارات فى العام .. قاطعنى قائلاً :

- « لكننا بحاجة إلى كاتب يملك خمس سنوات من الخبرة .. »

- « سأتعلم بسرعة .. »

كنت أحاصره بشكل غير عادل .. لكنى لم أشفق عليه .. فهو قادر على طردى فى أية لحظة يختارها .. قال لى :

- « يجب أن أتناقش مع مستر (ليك) أولاً .. إن له قواعد صارمة فى اختيار موظفيه .. ولن يروق له موضوع كاتب محام بدون خبرة .. »

كنت قد تلقيت هذه الصفعة مرارًا .. لقد صرت ممتازًا فى هذا ..

أضفت :

ـ « إن لدىَ كذلك قضية تأمين مهمة .. ها هى ذى أوراقها .. »

وناولته ملخص قضية آل (بلاك) .. راح يدرسه بعناية .. بدا عليه اهتمام لا شك فيه .. ثم سألنى :

ـ « دعنى أحدس .. تريد عملاً ونسبةً من هذه العملية ؟ »

ـ « لا .. أريد العمل فقط .. أريد أن أعمل فى القضية لكن الأجر لك .. »

ثم نهضت قائلاً :

ـ « أرجو أن تتصل بـ (مادلين سكينر) فى مدرسة القانون .. فهى ستزكينى .. »

ـ « (مادلين) المجنونة .. أما زالت هناك ؟ »

ـ « بلى .. ولسوف تؤكد لك أننى أصلح .. »

وافترقنا على وعد بالاتصال بى ..

* * *

بعد يومين اتصل بى (بارى) وطلب منى أن أقابله فورًا ..

كان الوقت ليلاً .. برغم هذا كان عدد من الناس كبير يعمل بداخل المكتب .. قابلنى على الباب ، واقتادنى إلى مكتبه .. كنت أرمق كل شىء فى انبهار وأفكر فى أننى سأغدو جزءًا من هذا المكان الفخيم .. أكبر شركة للتقاضى فى (ممفيس) ..

جلس على مكتبه ، وقرب مكبِّر الصوت منى .. وفتح جهاز الدكتافون :

ـ « سنسجل ما ستقول .. ولسوف تدونه السكرتيرات غدًا .. موافق ؟ »

ـ « حسن .. »

ـ « سأعينك كاتب محام لمدة اثنى عشْر شهرًا .. راتبك واحد وعشرون ألفًا يتم دفعه على اثنى عشر قسطًا متساويًا فى منتصف كل شهر .. لن تستفيد من التأمين الصحى قبل مرور عام .. وقتها سنقيِّم أداءك ونلغى عقدك أو نستخدمك كمحام .. سيكون لك مكتب وسكرتيرة .. العمل يبدأ فى الثامنة صباحًا ويستمرّ حسب الظروف .. ستين ساعة أسبوعيًا .. ستبدأ

العمل فى قضية (آل بلاك) ضد شركة (الفائدة العظمى) .. »

- « موافق على كل شىء .. »

لا بأس بستين ساعة من العمل .. لتكن تسعين .. هكذا لن أعمل فى حديقة مس (بيرد سونج) الرهيبة .

أقفل (الدكتافون) ، وراح يطالع تقريرى عن أسرة (بلاك) .. راق له تنسيقى للأحداث القانونية .

وطلب منى الحصول على تعاقد مع الأسرة لتوكيل الشركة ..

رحت أبتسم وأنا أرمق وجهى فى مرآة السيارة ..

يجب أن أتصل بـ (بوكر) العزيز لأبلغه بالأنباء الطيبة .. ثم آخذ زهورًا لـ (مادلين سكينر) وأقول لها شكرًا ..

ربما كان عملاً حقيرًا .. لكنه نقطة بدء أنطلق منها كصاروخ .. سأكون أكثر ثراء من كل البلهاء الذين أهرب منهم هذه الأيام .

* * *

- ١٠ -

مرّ يومان مع (بارى لانكستر) درسنا فيهما كل شىء عن قضية شركة التأمين وآل (بلاك) ..

لم ألق أحدًا سواه فى الشركة . يعود هذا طبعًا إلى وضاعة وظيفتى .. فلست محاميًا .. لست شيئًا كبيرًا أو خاصًا .. إن كتبة المحامين يجيئون ويذهبون فلا يلاحظهم أحد .. ثم إن الموظفين فى المبنى مشغولون جدًا ولا وقت لديهم للزمالة ..

كانت قيود الأمن تحاصر المبنى .. لم يكن أحد يسمح لى بأخذ مفتاح .. لهذا كنت أذهب مبكرًا وأنتظر (بارى) حتى يفتح لى بمفتاحه ..

فى اليوم الثالث فرغنا من صياغة خطاب مطالبة بارع ، موجه لشركة (الفائدة العظمى) ، تمّ إرساله بالبريد المسجل مع علم الوصول ..

* * *

الجميع يعرف الآن أننى أعمل فى شركة (ليك) .. ما أجمل اسمها ! لا أحد يسأل ما هى .. فقط أذكر اسمها ، عندئذ يراها الناس ماثلة أمامهم بمبناها الفخم ومحاميها البارعين ..

وجاء يوم الجمعة ..

قابلت (بارى) على باب الشركة ، لم يسمح لى أحد بالدخول ، لأن اسمى لم يدون بعد فى قائمة الأجور .. لهذا كان علىَّ أن انتظره ..

قال (بارى) إنه مطلوب فى المحكمة فى التاسعة .. لهذا اقترح علىَّ أن أذهب إلى آل (بلاك) وأجعلهم يوقعون التعاقد .. يجب أن يوقع ثلاثتهم على العقود : الزوج والزوجة والابن ..

لم أكن أحب قضاء نهار الجمعة مع آل (بلاك) ، لكنى ذهبت على كل حال .. نفس الكلاب تنبح فى وجهى .. وقادتنى (دوت) إلى المطبخ ورأيتها تنظر إلى الفناء الخلفى وتقول بإحباط :

- « لن أستطيع جعل (بارى) يأتى إلى هنا ! أنت تريد توقيع (دونى راى) كذلك .. أليس كذلك ؟ »

- « بلى .. »

خرجت من المطبخ .. بعد دقائق سمعت جلبة بالخارج ، فوقفت لأقابل الشاب (دونى راى بلاك) ..

كان واضحًا أنه سيموت أيًا كان السبب .. فهو هزيل تقعَّر خداه ، لون جلده شمعى ، وظهره منحن

حتى ليقارب الأرض فى قامته ..

لكنه يبتسم ويمد لى يدًا عظمية ، بينما الـ (تى - شيرت) الذى يرتديه يتهدَّل حول هيكله :

- « مرحبًا . ماما تقول أشياء طيبة عنك .. تقول إنك ستقاضى هؤلاء الأوغاد وترغمهم على الدفع .. »

لا أتخيل أن تقول هذه المرأة أشياء طيبة عنى ..

- « لسوف نطالبهم بمليون .. »

قلتها وأنا أخرج العقود وأضعها على المائدة .

قالت المرأة :

- « لن يأتى (بادى) .. »

- « يجب توقيع هذه الأوراق .. »

- « وماذا فيها ؟ »

- « آه .. الكلام المعتاد .. أنكم توكلوننا لمقاضاة الشركة مقابل ثلث ما تدفعه .. »

سألتنى فى شك وهى تشعل لفافة تبغ :

- « إذن لماذا اقتضاكم الأمر صفحتين بخط صغير ؟! »

قال لها (دونى راى) فى غضب :

- « خذى قلمًا واذهبى إلى أبى .. واجعليه يوقع هذا الشيء اللعين .. »

وأخذت العقد وراحت تجتاز الفناء الخلفى نحو زوجها ، الجالس فى سيارته غير ذات العجلات ، والقطة لم تغير جلستها فوق الكبود !

- « أظن أننى سأفعل .. »

واخذت العقد وراحت تجتاز الفناء الخلفى نحو زوجها ، الجالس فى سيارته غير ذات العجلات ، والقطة لم تغير جلستها فوق الكبود

رحنا نرمقها وهى تبعد القطة .. تدخل الأوراق من النافذة وتحدث زوجها ..

قال الشاب السقيم على صوت المناقشة الحادة بين الزوجين :

- « أعرف أنهما يبدوان كالمجانين . لكن اصبر عليهما إنهما طيبا القلب .. »

ثم زفر وقال :

- « أعرف أن احتمال وفاتى ثمانون بالمائة .. لو تلقيت مزرعة النخاع منذ ستة أشهر لكانت فرصة شفائى تسعين بالمائة .. لقد تفاقمت حالتى . »

وراح يلهث . حتى شعرت بأنه من الواجب أن أساعده للمرة الأولى شعرت أن شركة (الفائدة العظمى) عدو شخصى لى ..

تعود الزوجة بالأوراق وعليها توقيع لا يقرأ

لزوجها .. وتوقع هى وابنها .. ويقول لى الشاب وهو يعيد الأوراق لى :

- « سأموت حتمًا .. لكنى أرجوك أن تعنى بهما .. لقد عاشا حياة مريرة .. »

لم أستطع الكلام من فرط التأثر ..

* * *

- ١١ -

ظل المطر ينهمر لمدة ثلاثة أيام ، مما أبقانى فى المنزل وأراحنى من كل تلك الأشغال الشاقة التى أؤديها فى حديقة مس (بيردى) ، والتى جعلتنى أرتاب فيما إذا كنت حقًا بارعًا فى الصفقة التى أجريتها معها .. حين قالت لى إنها ستخفض الإيجار مقابل معاونتها فى فلاحة الحديقة ؛ لم أتوقع لحظة أنها تدخر كل هذا العمل لى ..

وحين جاء مساء الثلاثاء دق جرس الهاتف .. فرفعت السماعة .. كان المتحدث هو الزوجة (دوت بلاك) .. فعرفت أن شيئًا ما ليس على ما يرام .. قالت :

- « تلقيت مكالمة هاتفية ممن يدعى (بارى لانكستر) .. قال لى إنه محام .. »

قلت لها :

- « بالفعل هو محام ثقيل الوزن يعمل معى ! »

- « حسن .. لم يقل هذا .. اتصل طالبًا منا أن نزوره غدًا لتوقيع بعض الأوراق .. سألته عنك فقال

إنك لا تعمل هناك ! هلا شرحت لى ما يحدث ؟ »

توقفت لهنيهة .. شعرت بغصة فى حلقى . قلت شيئا ما عن سوء الفهم لكنها قالت فى إصرار :

- « كلا كان يعنيك أنت . قال إنك كنت تعمل معهم .. لكنك لم تعد ! »

انهرت فى مقعدى وبصعوبة قلت والغرفة تدور بى :

- « حسن . سأتصل به لافهم ما يحدث وأطلبك بعد دقائق .. »

وبيد مرتجفة طلبت رقم (بارى لانكستر) .. يجب أن أعرف . سمعت صوته المتعب يرحب بى .. ثم يقول :

- « إن لدينا مشكلة يا (رودى) بصدد عملك .. إن (جوناثان ليك) غير موافق على عملك معنا ! »

- « لم لا ؟ »

- « إنه غير مستريح لفكرة محام يشغل وظيفة كاتب محام مستر (ليك) يعتقد أن المحامى فيك سوف يحاول الظهور ويفسد كل شىء . آسف يا (رودى) .. إن الرجل يمسك بزمام الأمور بقبضة

حديدية .. ولا يلين .. بل لقد وبخنى كثيرا على تعيينك .. »

- « أيها الوغد !! »

- « اسمع يا (رودى) .. »

- « أيها الوغد !! »

صرخت فى السماعة وشعرت ببعض الراحة ثم صحت :

- « سأكون عندك حالاً ! »

ووضعت السماعة ، وبعد عشر دقائق توقفت ـ بفرملة حادة ـ أمام المكتب أصعد الى المدخل الأمامى . هم بالتأكيد بالداخل لكنهم لن يفتحوا لى . درت حول البناية ورحت أقرع الأبواب دون كلل

هنا يبرز رجل أمن ضخم الجثة ويضع يده على كتفى :

- « يجب أن ترحل يا بنى قبل أن استدعى الشرطة .. »

يقولها بصوت عميق .. فابعد يده عن كتفى . وانصرف ..

وعلى الأريكة فى غرفتى ظللت ساهرا .. أبكى .

اخطط للانتقام .. أفكر فى قتل (ليك) و (بارى) .. كيف أشرح الأمر لآل (باك) ؟ لم أتصور أمس أن أعود لطرق الأبواب من جديد .. كيف أعود لـ (مادلين) من جديد أطلب عملاً ؟ تبًا لكل هذا النحس !

نمت على الأريكة .. وأيقظنى أحدهم فى التاسعة صباحًا ..

وجدت شرطيين فى غير ثيابهما الرسمية .. دعوتهما للدخول وأنا أتساءل عن سبب قدومهما .. طلبت منهما الجلوس .. فسألانى :

- « هل تعرف (جوناثان ليك) ؟ »

- « نعم .. »

- « هل ذهبت هناك إلى مكتبه ليلة أمس ؟ »

- « نعم .. »

أسئلة غريبة .. لماذا ذهبت ؟ هل حاولت اقتحام المكان ؟

هل عدت فى منتصف الليل ؟ لا .. صف لنا رجل الأمن ..

وعرفت أن رجل الأمن قد مات أمس !

- « كـ .. كيف مات ؟ »

- « احترق فى النار .. النار التى شبت فى المبنى بعد منتصف الليل ! هل السيارة (التويوتا) بالخارج ملكك ؟ »

- « أنتم تعرفون أنها ملكى .. فأنتم تملكون الحاسبات الآلية .. »

- « هل قدتها إلى المكتب بعد منتصف الليل ؟ هناك من رأى سيارتك قرب المكتب فى الثانية صباحًا .. »

قلت فى عصبية :

- « إذن فالشركة احترقت .. »

- « صارت والأرض سواء .. »

- « و (بارى لانكستر) قال لكما إننى مشتبه لا بأس به .. أليس كذلك ؟ »

وأخبرانى أن الحارس مات فى الحريق إذ سقط السقف عليه .. يا للخسارة ! المبانى الجميلة والسجاجيد والديكور .. كلها فى النار ..

- « يقولون إنك كنت ثائرًا جدًا .. »

- « نعم .. لكن ليس إلى درجة حرق المكان .. »

سحب أحدهما ورقة من جيبه وقال لى :

- « لدينا هنا تقرير يدينك فى تدمير ممتلكات خاصة .. حدث هذا منذ شهرين فى شركة (برونتاكس) .. »

- « أخيرا تعترفان بأن لديكما حاسبًا آليًا .. وإذا كنتما تعتقدان أن من يهشم تمثالا فى (إبريل) يمكن أن يحرق شركة كاملة امس ؛ فإن للفاعل الحقيقى أن يسترخى ويهنأ بالا .. فأنتما بعيدان جدا عنه .. »

قال لى أحدهما وهما يتأهبان للانصراف .

- « ربما كان من الأفضل أن تجد محاميًا .. فحتى هذه اللحظة أنت المشتبه الأول لدينا ! »

انتظرت نصف ساعة بعد رحيلهما ، ثم قدت سيارتى نحو شركة (ليك) .. ومن بعيد لمحت البقايا المتفحمة .. لم يعد باقيًا سوى حائط واحد من المبنى الجميل ، وقد فاحت رائحة الخشب المحروق النفاذة ، وثمة شريط أصفر ثبته رجال الشرطة حول موقع الحادث ..

* * *

كان (برينس) وغدًا لا خلاق له ، يدير بارا مشبوه السمعة عند أطراف المدينة ، وقد عملت عنده فترة لا بأس بها ساقيًا .. وأعتقد أنه يكن لى بعض المودة ، وأعرف أنه أستاذى فى التحايل على القانون .

إلى (برينس) توجهت . وحكيت له مشكلتى مع البوليس . راح يصغى للقصة بوجهه المشعر الذى يذكرنى بوجوه المذءوبين فى السينما .. كان يحب هذه القاذورات ، وقد كانت قصتى ملأى بها : شركة تأمين نصابة .. حريق فى مكتب محاماة .. شرطى مقتول .. لم يكن ينقص الأمر سوى بعض فتيات الاستعراض لتكون قصة ممتعة له حقًا ..

كان متعكرالمزاج لأنه لم يفق من الخمر بعد .. فهو لا يفيق قبل السادسة مساءً عندها يبدأ الشراب من جديد .. لكن قصتى أسعدته ..

كان اقتراحه هو أن أذهب معه لاستشارة محاميه (بروزر) ، وهو وغد آخر بلا خلاق .. معروف بأنه لا يكسب قضية شريفة أبدا .. لم يكن لى الخيار ..

قال لمحاميه فى الهاتف بعبارات سريعة مختصرة :

- « هنا (برينس) .. نعم .. أحتاج إليك بسرعة .. موظف عندى .. بعد ثلاثين دقيقة .. »

كان يعرف جيدًا أن هاتفه مراقب .. وإننى لأشفق على ضباط المباحث الذين سيحاولون استخلاص ما يدين (برينس) من هذه العبارات الملغزة ..

ندخل مكتب (بروزر) الذى لا تدخله الشمس أبدًا .. كان (بروزر) يشبه الدب الكبير ، وخلفه رأيت حوض أسماك مليئًا بسمك القرش المفترس .. إنها لمحة ذات دلالة ..

حكيت له قصتى لكنه كان يعرفها من الصحف بالفعل .. وبدا مطمئنًا واثقًا من نفسه .. لقد أخبرنى (برينس) ذات مرة أن (بروزر) يعرف من رجال الشرطة أكثر ممن يعرفهم العمدة نفسه ..

- « يحتاج الأمر إلى بعض الأيام قبل أن تقرر الشرطة : هل هذا الحريق بفعل فاعل أم لا .. ولن يطلبوك قبل هذا .. »

هنا تدخل (برينس) ليعرض على (بروزر) استخدامى .. قائلاً :

- « يا للجحيم ! أنت تملك جيشًا من المحامين

هنا يا (بروزر) .. ماذا يضير لو زادوا واحدًا ؟ إن الغلام يحتاج إلى عمل .. »

ابتسم المحامى ابتسامة لطيفة كبسمة (بابا نويل) .. وقال :

- « الحق أننى أبحث عن موهبة قانونية .. لأن عندى منصبين شاغرين هنا .. لكنى لن أمنحك راتبًا .. إننى أنتظر من العاملين عندى أن يدفعوا رواتبهم لأنفسهم ! »

لم أستطع الكلام .. إننى لا أتحمل فكرة أن يكون (بروزر) رئيسى .. سيكون هذا هو الحضيض بعينه .. ولكن ماذا يعنيه بعدم دفع راتب ؟

قال لى :

- « هذا سهل .. لدينا بعض الشركاء هنا .. كل منهم يتلقى ألف دولار فى الشهر .. وثلث ما يحصل عليه فى القضايا ، الثلث الثانى يذهب إلى صندوق مكتبى للإنفاق على السكرتارية ، الثلث الثالث يذهب لى .. وتظل مدينًا لى بألف دولار شهريًا حتى تحقق صفقة كبرى فى شهر ما .. »

يا له من نظام غريب ! إن الشىء الوحيد الأكثر

سوءا من البطالة هو العمل الذى تتراكم فيه الديون عليك كل شهر !

هنا قال (برينس) فى حماس ، وهو يضربنى على ركبتى :

- « يا لها من صفقة ! هذا عادل . يمكنك هنا أن تصنع نقودا حقيقية .. »

إن الرجل يقدم لى الوظيفة الوحيدة الباقية فى (ممفيس) .. كيف أرفضها ؟ إنه يريد منى أن أبدأ اليوم . الآن .. وأنا مذعور أحتاج إلى عون .. وحيد خائف . أجلس مع اثنين من كبار المفسدين فى المدينة ..

لم يكن أمامى خيار آخر ..

سأقبل العرض ..

* * *

- ١٢ -

يقع مكتب (بروزر) فى بؤرة فساد المدينة ، محاطا بملاه خليعة وحانات . وقد توجهت إلى هناك بعد الظهر لأملأ أوراق استخدامى .

قرأت النص بعناية .. فمن هو مثل (بروزر) لابد أن يخفى عبارات صغيرة فى العقد ، تتيح لمخالبه أن تنغرس أكثر فى لحمى ..

قابلت (بروزر) وكلمته عن قضية الـ (بلاك) ، وقلت له إن (لانكستر) خدعنى لأخذ القضية إلى مكتبه ... وقلت إننى سأجعل ال (بلاك) يسحبون القضية من شركة (ليك) ليعطوها لنا .. راق له الأمر .. فهو يحب الأعمال الدنيئة من هذا القبيل ..

بدأت أنتظم فى العمل مع (بروزر) .. وكان أكثر ما راق لى معه هو أننى غير مطالب بارتداء ربطة العنق .. يمكننى ارتداء أى شىء .. قيادة أى سيارة آتى وأذهب متى أريد .. ثم إننى بدأت أتعلم القانون من أبوابه الخلفية .. ستعلمنى هذه الشركة كيف أكون خشنًا ..

ذات صباح دخل (بروزر) ليناولنى قصاصة جريدة .. وقال :

- « هو ذا حادث طريق .. يبدو أن أحد السائقين كان ثملاً وكسر الإشارة وهى حمراء .. تول هذا الموضوع .. »

- « وهل نمثل نحن أحد الـ ... ؟ »

- « يا للجحيم !.. لا .. ليس بعد .. اذهب وحقق فى الأمر .. يبدو أن هناك بعض الإصابات الطبية .. »

وتركنى دون أن أفهم شيئاً .. رحت أطالع القصاصة والتقرير معها ، إن التقرير يحوى كل شيء : أسماء المصابين ، الشهود ، أرقام الهاتف ، العناوين . كما يوجد رسم كروكى لما حدث .. لقد وقع الحادث مساء أمس وبرغم هذا يعرف (بروزر) كل شيء عنه .. ما المطلوب منى .. ؟

سمعت قرعاً على الباب .. ثم ظهر رجل صغير الحجم قال لى إن اسمه (ديك شفلت) .. على عينيه عوينات رفيعة الإطار متسخة .. من الصعب أن تعرف هل رأسه أكبر من جسمه أم جسمه أكبر من رأسه .. المهم أنهما غير متناسبين .. الواقع أنه أقبح رجل رأيته فى حياتى ..

قال لى إنه مختص بقضايا شركات التأمين هنا .. وقد طلب (بروزر) منه أن يعاوننى فى قضية آل (بلاك) .. لم يكن (ديك) محامياً .. فهو لم يجتز اختبار التأهيل كمحام برغم محاولته ست مرات .. لكن (بروزر) يعامله كمحام عادى .. وهو ذا (ديك) يحصل على أربعين ألفاً فى العام عن طريق ممارسة القانون دون رخصة ..

سألته عما ينبغى عمله بصدد الحادث الذى كلمنى (بروزر) عنه .. فقال :

- « اذهب إلى المصاب فى الحادث .. اجعله يوقع .. اجعله يطلب تعويضاً عن إصابته ويوكلك أنت .. ثم ابدأ العمل ! »

- « وكيف أجده ؟ »

- « بالطبع هو فى المستشفى .. يجب أن تعتاد البحث عنهم فى المستشفى .. الأمر لا يحتاج إلى عالم صواريخ .. ماذا علموك فى مدرسة القانون ؟ »

- « علمونا الكثير .. لكنهم لم يعلمونا مطاردة سيارات الإسعاف .. »

- « إذن تعلم بسرعة وإلا ستموت جوعاً .. ستتصل

برقم منزل المصاب وتقول : إنك تريد التحدث إليه .
سيقول لك المتكلم ان فلانا لن يجيء للهاتف لأنه في مستشفى كذا . تعال معي الآن إلى المستشفى وسأريك ما يجب عمله .. »

في الطريق إلى المستشفى بعد ما عرفناها بهذه الحيلة الصغيرة ..

مستشفى (سان بيترز) الخيري هو حديقة حيوان صحية مملوكة للحكومة ..

نشق الطريق إلى هناك بينما (ديك) يلوك الشطيرة التي اشتريتها له والسلطة تتساقط من جانبي فمه فلا أجرؤ على النظر ..

يجتاز المدخل دون مشاكل .. إن الحراس يعرفونه .. ومن الاستعلامات يعرف رقم غرفة (فان لاندل) . نستقل المصعد معًا ويهمس لي :

- « حاول ألا تبدو كمحام ! »

لن تكون هنك صعوبة . فمن المجنون الذي يشك في ان (ديك) محام ؟ نصعد الى الطابق الثامن ونخرج .. ونمشي في ممرات مزدحمة حتى نجد الغرفة (٣٦٨) . ندخل الى حيث نجد رجلا راقدا على

ظهره والضمادات تملأ جسده . ينظر لنا في هلع كأنما جئنا لننتزع كليته ..

هنا يتصرف (ديك) بثقة وسيطرة لم اتصور أنهما لديه .. ينحني على الرجل في تعاطف القساوسة ويسأله :

- « عمت مساء يا سيدي كيف حالك ؟ نحن نمثل مكتب (ستون) القانوني .. أنت لم تقابل أي مندوب شركة تأمين بعد .. أليس كذلك ؟ »

هكذا ببساطة يحدد (ديك) الأشخاص السيئين .. إنهم ليسوا نحن .. انهم فتية شركات التأمين .. يقول (فان لاندل) : إنه لم يلق أحدهم ..

- « حسن .. إنهم قد خرجوا ليفوزوا بك .. لقد قرأنا تقرير الحادث .. خلال ساعة سنذهب لنتحدث إلى الشهود . لو أن رجال شركة التأمين قابلوهم أولا فلسوف يرشونهم ليزوروا شهدتهم لكننا نحتاج إلى توكيلك .. إن شركات التأمين تهاب شركتنا .. ولسوف ننال ثلث ما ستحصل عليه من تعويض .. »

يقولها وهو يخرج التعاقد من حقيبته ..

يمسكه (فان لاندل) ويحاول قراءته .. يا له من

تعس ! لقد مرّ بأسوأ ليلة فى حياته أمس .. والآن عليه - بعين غائمة - أن يوقع على وثيقة قانونية ويتخذ قرارًا صائبًا .. كان مترددًا لكن (ديك) لم يترك له فرصة .. وضع حقيبته ليسند الورقة عليها ويناول قلمه للرجل .. يوقع الرجل بيد منهكة .. فيقول له (ديك) فى رضا :

- « برافو .. تذكر أن رجال التأمين سيأتون إليك ليلًا .. سيحاولون الوصول إلى تسوية .. لا تقبل .. لا توقع أية أوراق .. »

ونتحرك للانصراف ..

وفى الممر يقول لى (ديك) فخورًا :

- « هذا هو العمل يا (رودى) .. إنه قطعة من الكعك كما ترى .. »

- « وماذا لو كان لديه محام ؟ »

- « لن نخسر شيئًا .. وحتى لو طردنا من الغرفة فماذا نخسر ؟ »

سنخسر بعض الكرامة وبعض الاعتزاز بالنفس .. لا يبدو له هذا خطيرًا .. ولا يرى فى هذا مخالفة لآداب المهنة ..

كانت هناك (كافتيريا) صغيرة بالمستشفى .. أخبرنى (ديك) أنه يقضى ساعات طوال هنا .. فهذا هو المكان المناسب لاصطياد المرضى الذين غادروا فراشهم مللًا .. لا تخش هذا المكان .. لن يقذف بك أحد للخارج .. فقد صار (فان لاندل) عميلًا لك ولن يجرؤ أى شخص على الاعتراض ..

إن مستشفى (سانت بيترز) مناسبة للبدء .. لأن بها أكبر عنبر للحوادث فى المدينة .. ستكون هذه الكافتيريا هى مكانى الدائم ليلًا ..

* * *

- ١٣ -

أخبرنى (بروزر) أن رجال الشرطة يريدون التحقيق معى . من الخير ألا أرفض حتى لا يحنقون ، إن التحقيق سيدور هنا .. فى مكتبه وأمامه .. من الغريب أننى كنت أثق بـ (بروزر) ثقة عمياء وهو رجل ما كنت لاثق به فى أى وضع آخر .

جاء رجال الشرطة بجهازى تسجيل ، وراحوا يسألوننى .. كان الأمر مملا . إذ على أن أكرر ما قلته لهم فى تلك الليلة . حاولوا أن يجدوا تناقضات فى كلامى على غرار : قلت إنك كنت ترتدى قميصا سماويا . والآن تقول إنه كان أزرق .

لكن الحقيقة كانت فى صفى ، وسرعان ما أدركوا أننى لست رجلهم . بالإضافة إلى أن (بروزر) كان لهم بالمرصاد . وأدركت - فى ذهول - أنهم يهابون (بروزر) حقًا . وأخيرًا انصرفوا . وأخبرنى (بروزر) أن هذه نهاية معاناتى ..

وفوجئت به يناولنى جهاز هاتف صغيرًا طلب منى أن أبقيه دوما معى .. فلربما احتاج إلىّ فجأة .

شعرت بالرعب . فعن طريق هذا الجهاز سأظل عبدًا له طيلة اليوم ..

* * *

لم يكن الطعام سيئا فى كافتيريا المستشفى . ثمة أطباء وممرضات من حولى يثرثرون .. اخرجت كتبى الخاصة بامتحان التأهيل لمحام .. فقد قررت أن أستفيد من وقتى فى الاستذكار . لكم ستكون دهشة الأطباء عظيمة حين يعرفون أن وسطهم محام يدرس فى جهد ، عله يقاضيهم يومًا ما !

بدأت أنهمك فى الدراسة حتى نسيت اين أنا .. وبعد قليل - ولشدة دهشتى - أدركت أننى احب هذا المكان .. لا أحد يعرفنى ، والقهوة ليست سيئة ، والهدوء تامّ ، ثم إن رئيسي ينتظر منى أن اكون هنا .

هنا رن جرس الهاتف .. هذا (بروزر) يسألنى : هل من توفيق ؟ فأقول له : لا .. يتمنى لى (صيدًا سعيدًا) ويضحك .. ويغلق الاتصال ..

أواصل دراسة القانون الفيدرالى ..

فى التاسعة يطلبنى (بروزر) من جديد .. يريدنى فى الصباح ليناقش معى قضية مهمة .. واضح أنه

يتحدث من الملهى الليلى .. يؤسفنى أن يتلقى رئيسى إلهامه القانونى وهو جالس يعاقر الخمر فى ملهى خليع ..

العاشرة مساءً ولا أحد فى الكافتيريا ..

ثمة فتاة على مقعد متحرك يدفعها ممرض .. فتاة قدمها فى الجبس ومعصماها مربوطان .. صغيرة جدًا .. جميلة جدًا .. حملقت فيها لثوان ثم عدت لكتبى ..

شعرها أسود .. عيناها بنيتان .. ثمة كدمة حول عين منهما .. كدمة من النوع الذى تتركه قبضات اليد ..

يقدم لها الممرض كوبًا ورقيًا من عصير البرتقال ، ويقول :

- « هو ذا يا (كيلى) .. »

وينصرف .. إنها لا تنظر لى بل تنظر لبعيد .. إنها فى عالم خاص بها .. ثمة خاتم زواج رفيع فى خنصرها الأيسر .. إنها تمسح عينيها بمنديل ورقى .. إنها تبكى ! ليس بسبب ألم قدمها بالتأكيد .. إنها روحها تتألم ..

أنظر لها .. تنظر لى .. آخذ نفسًا عميقًا وأنهض وأدنو منها ..

أقول لها بصبر :

- « انظرى .. هل هناك شيء أستطيع عمله ؟ »
- « لا .. » - بصوت خافت وابتسامة واهية ..
- « أنا هناك .. لو أردت أى شيء .. فأنا موجود .. وأهتمّ ! »
- « شكرًا .. »

أعود لمقعدى عالمًا أننى تركت أثرًا فى روحها . أرفع عينى لأجدها ترنو لى .. وقلبى يفلت ضربة ، لو كانت متزوجة فأين زوجها بحق السماء ؟ هل مات فى ذات الحادث ؟ رحت أقلب كتاب القانون .. ثم سألتها :

- « هل أجلب لك شيئًا ؟ »
- « ربما بعض الكولا .. »

ملأت كوبين من آلة المشروبات ، وعدت لها .. قالت لى :

- « أرجوك أن تجلس .. فقد سئمت الممرضات .. »

قلت لها وأنا أجلس جوارها :

- « أنا (رودى بايلور) .. »
- « (كيلى رايكر) .. »

أعود لمقعدى عالمًا أننى تركت أثرًا فى روحها

لم أصدق مدى جمالها إلا حين دنوت منها . سألتها :

- « لماذا تأتين هنا ؟ »

- « سئمت غرفتى .. وأنت ؟ »

- « أدرس لامتحان التأهيل للمحاماة ، فقد أنهيت دراسة القانون .. ما هذا الكسر ؟ »

- « إنه كاحلى .. لقد ثبتوه بمسمار .. حادث منزلى .. »

ما معنى هذا ؟ حادث منزلى ؟

ثم سألتنى :

- « أليس مكانًا غريبًا للدراسة ؟ »

- « ليس تمامًا .. إنه هادئ ومفتوح طيلة الليل .. وبه كثير من القهوة .. كم عمرك ؟ »

- « تسعة عشر عامًا »

ورحنا نتكلم .. وعرفت الكثير عنها .. إنها تلك القصة التقليدية : هو بطل المدرسة الثانوية الرياضى .. وهى أجمل طالبة .. الزوجان الأمريكيان المثاليان .. والكل ينتظر زواجهما .. لكنهما يتعجلان الزواج قبل إنهاء المدرسة .. وهنا يكتشفان أن الحياة عسيرة

حقًا .. تتلاشى الرومانسية من حياتهما .. مازال هو يحلم بالنجاح ، ومازالت هي تحلم بأيام المراهقة الخالية من الهموم ، وتحلم بالكلية التي لن تراها أبدًا . ولا داعي للذكر أن أهلها وأهله تخلوا عنهما .. وفهمتُ أن زوجها يشرب الخمر بإفراط ، وربما يضربها بقسوة ..

الهاتف يدق من جديد ..

(بروزر) يسألني عن أخبار الصيد ..

استغرقت المكالمة بعض الوقت ، حتى جاء الممرض ليعيدها إلى غرفتها .. سددت السماعة بيدي ، بينما (بروزر) يصرخ في أذني .. وسألتها :

ـ « أراك غدًا ؟ »

ـ « غدًا .. »

وابتعد الممرض بها ..

أغلقت الهاتف كي لا أسمع بقية مكالمة (بروزر) .. لو أنه تذكر غدًا ما حدث حين يفيق من سكره ، فلسوف ألقي اللوم على جهاز الهاتف ..

* * *

ـ ١٤ ـ

كان (ديك) يعشق التحديات .

لهذا ـ ما إن كلفته بالتحري ـ حتى عاد لي بعد ساعة ، وهو يحمل تقريرًا كاملاً عن الفتاة : لقد دخلت المستشفى منذ ثلاثة أيام بإصابات عدة .. سمع الجيران مشاجرة منزلية شرسة فاستدعوا الشرطة .. جاء البوليس ليجدوا الفتاة مضروبة ومكومة على الأريكة .. وكان زوجها ثملاً إلى حد أنه كاد يضرب رجال الشرطة أيضًا .. نقلوها إلى المستشفى ونقلوه إلى السجن ..

كلما فكرت أن هناك من يجرؤ على ضرب هذه الفتاة الرقيقة إلى حد كسر رجلها ؛ أشعر بالغثيان .. والعجيب أن هذه ثالث مرة !

قال (ديك) في خبرة :

ـ « سيقدم الفتى للمحاكمة لكن شيئًا لن يحدث .. ستتنازل الزوجة عن التهمة كما فعلت من قبل .. سيقبلان بعضهما ويصطلحان .. وتتماسك حتى يفعلها ثانية ! إنها تحب الفتى حقًا وتأبى اتهامه .. »

* * *

عدت للمستشفى فى تلك الليلة .. وجلست أحاول أن أدرس ..

وصلت (كيلى) بعد دقائق .. لكن كان هناك من يدفع مقعدها .. حين رأيته عرفت أنه (كليف) زوجها إنه فى طول قامتى لكنه متين البنيان عريض المنكبين ، وعضلات ذراعه تبرز من كمّ قميصه القصير .. لقد ارتداه خصيصًا لهذا الغرض .. وكان مشعرًا كالقرد ..

هى تعرف أننى أنظر لها لكنها تتحاشى عينىّ ..

كانا يتحدثان بحدة . تهديدات .. اعتذارات . من الواضح أنهما يتكلمان عن القضية .. فجأة يرتجف ويقذف بعبارات بذيئة .. إن فتيله قصير حقًا .. سرعان ما يشتعل فينفجر .. كان يحمل كوبًا من الكولا فى يده .. رأيته يقذف الكوب فى عصبية على قميص المستشفى الذى ترتديه ..

وثبتُ برد فعل غريزى لكن عينيها أمرتانى أن أجلس ..

رأيته يبتعد وهو يطلق السباب .. جاءت الساقية حاملة منشفة وراحت تنظف رداء (كيلى) .. أراهن

على أن (كيلى) جاءت به هنا خصيصًا كى أراه كى أشهد مزاجه النارى ..

مرّت فترة لا بأس بها أدركت معها أنه لن يعود تنادينى (كيلى) بإصبعها كى آتى تقول لى كلمات لن أنساها ما حييت :

- « هلا صحبتنى إلى حجرتى ؟ »

- « هل أنت بخير ؟ »

تهز رأسها أن نعم أقود مقعدها إلى المصعد نتحرك إلى الطابق الخامس .. أتجه إلى غرفتها كما تصفها لى .. النور مضاء بالداخل ..

تقول لى وهى تشير إلى الفراش :

- « أرجو أن تساعدنى .. »

أنحنى وأحملها . تطوق عنقى بذراعها . تعتصر بقوة لكنى لا أشكو .. عملية سهلة لأنها لا تزن أكثر من ستين كيلوجرامًا بما فيها من جبس .. تعتمد على قدمها الهشة لتساعدنى .. وتستريح أخيرًا على الفراش ..

تدخل ممرضة من الباب .. لتقول فى لا مبالاة :

- « يجب أن تستبدلى ثيابك يا (كيلى) » - ولى

تقول - « انتهت ساعات الزيارة يا (روحى) .. هيا انته سريعًا .. »

وتخرج من الغرفة .. ترفع (كيلى) الملاءة إلى ذقنها وتسألنى :

- « ما رأيك فى (كليف) ؟ »

- « يجب أن يرمى بالرصاص .. أى رجل يضرب امرأته بمضرب الكرة يستحق الرمى بالرصاص .. »

- « كيف عرفت ؟ »

- « من تقارير الشرطة .. إلى متى تتحملين ؟ إلى لحظة أن يهشم رأسك ؟! »

دمعت عيناها .. وهمست :

- « أنت لا تعرف شيئًا .. »

- « ارفعى قضية لطلب الطلاق .. افعليها الآن وخلال ثلاثة أشهر ستكونين حرة .. وإلا أنت ميتة خلال شهر من الآن لو لم تتخلصى من هذا الوغد .. سأعطيك عناوين مراكز النساء ضحايا العنف .. »

- « ضحايا العنف ؟ »

- « نعم .. أنت ضحية عنف .. ألا تدركين هذا ؟ هذا المسمار فى كاحلك يعنى أنك ضحية عنف .. »

- « لو حاولت الطلاق لطاردنى فى كل مكان ليقتلنى .. إنه مجنون .. لقد قالها مرارًا .. وعندما طلبت الطلاق للمرة الأولى وجدت نفسى فى المستشفى فورًا .. إننى خائفة تمامًا .. »

هنا دخلت الممرضة لتقول فى حنق :

- « انتهت مواعيد الزيارة .. ليس هذا فندقًا كما تعلم .. »

عدت لداري أحلم .. بكل كلمة قالتها .. بكل نظرة نظرتها ..

إنها تتوقع أن أنقذها .. ولا أحد لها سواى ..

إنها فتاة خاسرة .. فتاة محطمة ملأى بالندوب ..

ثم أنها خطرة .. لو علم زوجها أن هناك من يحاول انتزاع جميلته منه فسوف ..

رباه ! لماذا لا أقع فى الحب إلا قرب الامتحان ؟!

* * *

فى الصباح أخبرنى (بروزر) أن شركة (الفائدة العظمى) للتأمين قد وكلت عنها المحامى الأشهر (دراموند) ، من شركة (بريت) القانونية(*) !

(*) نذكر القارئ أن (رودى) فقد وظيفته فى (برولاكس) بسبب دمجها مع شركة (بريت) .

يا للمصادفات ! أكثر شركة أمقتها فى العالم توكل عنها ألعن شركة لا أطيق سماع اسمها فى الكون ! كل أعدائى فى سلة واحدة ..

عرفت أنهم سيجرون المحاكمة أمام قاضيهم المفضل (هالر) .. وهو زميل (دراموند) فى دراسة القانون بجامعة (ييل) ، وكان محاميًا مختصًا بالدفاع عن شركات التأمين النصابة قبل أن يصير قاضيًا !

- « سيغرقونك فى الورق .. إنهم يقبضون أجرهم بالساعة .. وكلما كان الورق أكثر كلما نالوا أجرًا أكبر .. لقد خرجوا ليظفروا بك يا (رودى) !

وللمرة الأولى شعرت لدهشتى أن (بروزر) خائف !

* * *

لم أجد (كيلى) فى موعدها .. عندما دخلت الكافتيريا مساءً ..

وجدت خطابًا أعطانيه أحد الممرضين بخطها :

« عزيزى (رودى) ..

سمح لى الطبيب بالخروج .. أرجو ألا تحاول الاتصال بى أو معرفة عنوانى .. شكرًا على كل شىء .. أنت مدهش .. »

هكذا .. بهذه البساطة ! ظللت طيلة اليوم أنتظر لقاءها ، ولم يجل ببالى أنه من الممكن أن تغادر المستشفى .. شعرت كأننى أهوى من حالق ..

هرعت إلى هاتف عمومى ، وبحثت فى دليل العملاء حتى وجدت اسم (كليف رايكر) .. طلبت الرقم .. فسمعت صوتًا مسجلاً يردد :

- « هذا الرقم مرفوع من الخدمة .. هذا الرقم مرفوع من الخدمة .. »

* * *

في الأيام التالية رحت أقضي وقتي ما بين زيارة آل (بلاك) وقضاء وقت مع (دوني راي) المريض ، وما بين سماع (بروزر) يخبرني بخبراته عن أسلوب عمل الشركات الكبرى مثل (بريت) ..

إن هؤلاء الأوغاد - قال لي - يجيدون عمل الملفات .. ويمكنهم أن يملئوا ملفًا كبيرًا في أية لحظة .. فلديهم المحامون الذين يدفنون أنفسهم في المكتبة وأمام شاشات الكمبيوتر .. وعندئذ تجد لديك ملفًا سمينًا مرهقًا في قراءته .. إنهم لا يبالون بالخسارة أو الكسب .. ماداموا يقبضون بالساعة ..

إن (دراموند) يتقاضى ٣٥٠ دولارًا في الساعة ، وعملاؤه يوقعون الفواتير دون تردد .. هذا يشعرني بالتضاؤل كأنني تحديت جيشًا .. أنا الذي مررت باختبار التأهل كمحام منذ أسبوعين فحسب ..

لكنني حقًا أكره شركة (الفائدة العظمى) .. وصورة (دوني راي) المحتضر لا تبرح مخيلتي .. إن (درامون) يريدها حربًا ورقية .. حسن .. أنا لها .

* * *

في هذا الوقت أخبرني (ديك) بأخبار غريبة .

قال لي إنه يتوقع القبض على (بروزر) و (برينس) قريبًا جدًا .. فمكتب المباحث الفيدرالية يراقبهما .. ربما إلى درجة وضع أجهزة تنصت في مكتبنا .. فهمت الآن سر إصراره على الكلام في مطعم مهجور .

يبدو أن الرجلين قد تورطا أكثر من اللازم في تجارة مريبة منافية للآداب ، وهناك جرائم قتل عدة في الموضوع ..

لهذا توقع (ديك) أن يهرب الرجلان قريبًا ، ومعهما ما يتمكنان من تهريبه من مال .. عندها ماذا سيحدث ؟

لم لا ترتب لعمل مكتبنا الخاص وقتها ؟ لم لا نتشارك أنا و (ديك) في كل شيء ؟ إن العرض مهين لي ، ولا أجرؤ على قبوله .. لكن (ديك) يخبرني به تكرارًا ...

* * *

ذهبت للمحكمة في أول يوم تنظر فيه قضية (بلاك) .

إنها محكمة مقاطعة (شيلبي) برئاسة القاضي (هيل) ..

كان (بروزر) قد وعدنا بأن يحضر المحاكمة لكنه لم يأت حتى الآن .. وفى التاسعة إلا الربع قررت و(ديك) أن نذهب للمحكمة .. فلربما ينتظرنا (بروزر) هناك ، واتجهنا بالسيارة إلى القاعة ...

لو تخلى (بروزر) عنى فى موقف كهذا فلن أسامحه أبدا .. يقول لى (ديك) أن أسترخى .. إنه واثق من أن (بروزر) هناك .. ثم لو لم يكن هناك ، ففى وسعى أن أقوم بالعمل .. فالجلسة إعدادية بلا محلفين ..

أقول له أن يخرس ..

أنظر إلى مبنى المحكمة العملاق .. إن المحاكمة ستكون فى الطابق الخامس .. أخرج من السيارة وأصعد فى الدرج ..

الأرضية من الرخام ، والأبواب من (الماهوجنى) المصقول .. هى ذى القاعة .. قاعة القاضى المحترم (هارفى هيل) .. لا أثر لـ (بروزر) هنا .. أفتح الباب وأطل برأسى .. يوجد عدد قليل من القوم ينتظروننى ، وعلى مقعد من الجلد يجلس القاضى الذى لا أحب منظره ..

إنها التاسعة وعشر دقائق .. وأرى عددا من المحامين ينظرون لى .. كلهم يلبس ذات البذلة الغامضة والعوينات والشعر القصير .. شد ما هم متشابهون !

أدنو من المنصة بساقين من المطاط ، وثقتى بنفسى صفر ..

- « عذرا سعادتكم .. أنا هنا من أجل قضية (بلاك) ضد (الفائدة العظمى) »

لم يتغير وجهه .. سألنى عن اسمى .. ثم سألنى عن مستر (بروزر) ..

- « لا أعرف .. كان عليه أن يلقانى هنا » .

همهمة تتصاعد من الصفوف خلفى .. ويسألنى القاضى :

- « أظن أنك تبغى التأجيل ؟ »

- « لا يا سيدى .. أنا مستعد للمرافعة الآن .. »

وأضع الملف على المنضدة جواره .. فيسألنى :

- « هل أنت محام ؟ »

- « نعم يا سيدى .. »

- « لكنك لم تتلق الرخصة بعد .. »

- « لا سيدى .. أتلقاها الأسبوع القادم .. »

- هنا تنحنح أحد خصومى ، ووقف بطريقة مسرحية طالبًا الكلمة :

- « لو سمحت لى المحكمة .. اسمى (ليوف درامونـد) من شركة (بريت) .. والمستشار القانونى لشركة (الفائدة العظمى) »

كأنما ليس صديق القاضى منذ أيام الدراسة !

- « إننا نعترض على مرافعة هذا الشاب .. »

كانت كلماته ثقيلة بطيئة .. إننى أمقته بالفعل من الآن لطريقته المسرحية .. وأسلوبه السخيف فى فرق شعره ..

- « إنه لا يملك حتى رخصة .. سعادتكم .. »

ورفع ذراعيه لأعلى .. وبطريقة مستفزة .. يا لأعصابه ! تبادلت معه نظرات الكراهية للحظات ..

عندها تعلمت درسًا مهمًا : إنه مجرد رجل ! ربما كان محاميًا أسطوريًا لكنه مجرد رجل .. لا يستطيع إيذائى .. لا يستطيع الدنو منى كى يصفعنى لأننى سأركل مؤخرته وقتها .. لا هو ولا من حوله ..

يقول سعادته - القاضى - فى مكبر الصوت :

- « حسن .. اجلس يا مستر (بايلور) .. فلنبدأ إذن .. لقد طلب الدفاع منا أن نرفض النظر فى القضية .. لهذا أطلب من كل منكما شرح وجهة نظره فى فترة لا تزيد على خمس عشرة دقيقة .. »

يتجه (دراموند) بتؤدة إلى المنصة .. ويبدأ مرافعته ..

إنه بطىء .. وبعد دقائق يغدو مملاً .. كان ملخص مرافعته هو أن البوليصة لاتتضمن زرع النخاع كعلاج .. ثم إن (دونى راى) بالغ لاتشمله البوليصة ..

بصراحة .. أعترف أننى توقعت ما هو أكثر من هذا .. انتظرت كلامًا سحريًا من (ليو درامونـد) العظيم .. لكننى لو لم أكن متوترًا هكذا لنمت مللاً ..

تذكرت هنا أن الرجل يتقاضى ٣٥٠ دولارًا فى الساعة .. إن لديه كل المبررات التى تجعله يتكلم ببطء .. والمحامون حوله يكتبون بدقة كل ما يقول . برغم أنه لا يقول سوى ما أعدوه هم من قبل .. إن هذا (مسح جوخ) فاضح ..

هنا شعرت بـ (ديك) يضرب كتفى من الخلف .. ويناولنى ورقة فيها :

- هذا الرجل ممل كالجحيم .. حاول ألا تتجاوز أنت عشر دقائق .. »

بعد نصف ساعة خلع الرجل عويناته معلنا أنه انتهى .. إنه الاستاذ الذى فرغ من محاضرته .. وبثقة عاد إلى مقعده ..

صعدت إلى المنصة .. خائفا حتى الموت لكنى سأفعلها ..

رحت اقدم قضيتى بعبارات مبسطة .. نحن على حق وهم على خطأ .. أتذكر وجه (دونى راى) الشاحب .. وأتكلم .. القاضى يرمقنى بوجه ساخر كأننى اكبر أحمق رآه فى حياته .. لكنه لا يقول شيئا .

انتهيت من كلامى .. فقال القاضى :

- « حسن .. أريد الانفراد بكما فى غرفتى .. »

كان (درموند) مهذبا .. أحاط كتفى بذراعه وقال لى إننى كنت رائعا ، واقتادنى إلى مكتب القاضى ..

كان سعادته جالسا إلى مكتبه ، يفرغ عشرات أقراص الدواء من العلب ، ودعانا إلى الجلوس .. وهو يبتلع الأقراص .. ثم قال لنا :

- « هذه القضية تثير أعصابى .. إننى ميال إلى

رفضها .. فأنا لا أريدها فى محكمتى .. سيكون عليك يا مستر (بايلور) أن تأخذها إلى المحكمة الفيدرالية . »

ثم نهض معتذرا لأنه يريد دخول دورة المياه الملحقة بالمكتب ..

جلست ساهما ارمق زجاجات الدواء ، وأنا أتمنى لو كان قد اختنق بما فيها .. نهض (دراموند) صامتا وجلس بقربى .. وقال :

- « انظر يا (رودى) .. أنا محام غالى الثمن .. لهذا يسألوننا دوما عن تكاليف الدفاع قبل أن نرفع اصبعنا .. وقد قدرت أن تكاليف الدفاع ستكون فى حدود خمسة وسبعين ألفا .. لهذا سمحت لى شركة (الفائدة العظمى) بذلك المبلغ كى أعرضه عليك وعلى عميلك من أجل التسوية ! »

أفكار عدة وثبت إلى ذهنى .. منها منظر كومة الدولارات التى سأظفر بثلثها .. ولكن لماذا يعرض المال علىّ ما دام القاضى سيرفض القضية ؟ فهمت .. إنهما يلعبان معى لعبة (الشرطى الطيب والشرطى الشرس) .. واحد (يضرب) وواحد (يلاقى) .. (هارفى) يثير الرعب فى نفسى ، ثم يأتى

(دراموند) بلمسته الحريرية .. لابد أنهما يلعبان هذا الدور كثيرًا .. وهو ما زال يتكلم :

- « إنه عرض لمرة واحدة .. خذه أو اتركه .. والعرض سار لمدة يومين بعدهما تبدأ الحرب العالمية الثالثة .. »

- ولماذا ؟ »

- « مسألة سمعة .. شركة (الفائدة العظمى) لا تريد شوشرة حول اسمها كشركة تأمين محترمة .. خذ النقود وارحل .. هذه نصيحتى .. »

هنا عاد القاضى .. والآن يشعر (دراموند) بحاجة ملحة للتبول بدوره ..

يقول لى القاضى : إنه يعانى ارتفاعا فى الضغط .. ليس بما يكفى للأسف .. ثم يقول وقد انصرف (دراموند) :

- « إن (ليو دراموند) يعرض تسوية .. هذا جزء من عملى كما تعلم .. إننى أجدها وسيلة لإنهاء القضايا من البداية .. »

حتما يصغى (ليو) للمحادثة من وراء باب دورة المياه ..

وخرجت من المكتب مع (دراموند) .. وذهنى مبلبل .. لقد كانا يتوقعان (بروزر) فهل كان نفس العرض سيقدم له ؟

أنا متأكد من أن (هارفى) سيرفض القضية .. وسيكون عسيرًا أن أرفعها أمام المحكمة الفيدرالية ..

لكن (دراموند) يريد تسوية الأمور .. لماذا ؟ لأنه خائف .. هذه نقطة مهمة .. الرجل خائف ...

* * *

فى المكتب كانت السكرتيرة فى حالة هستيرية .. إن (بروزر) لم يظهر بعد .. هذا ليس طبعه .. بالتأكيد هناك كارثة ما . إن (بروزر) يعرف ألعن شلة من الخطرين والقتلة .. لن يندهش أحد لو وجدوا جثته فى سيارة على طريق المطار .. حتى (برينس) لا يعرفون عنه شيئًا وهم فى الملهى الليلى قلقون عليه .

وفى الحادية عشرة مساءً غادرنا المكتب ..

ولم نحسب أننا لن نضع أقدامنا فيه مرة أخرى ...

* * *

- ١٦ -

فى الثالثة والثلث من صباح اليوم التالى ، اتصل بى (ديك) فى المنزل ليخبرنى أن (بـروزر) و(برينس) قد فرّا من المدينة ..

عرفت كذلك أن المباحث الفيدرالية داهمت المكتب لتفتيشه .. وأن مكاتبنا قد أغلقت . وأن التحقيقات تجرى على قدم وساق ..

أتمنى أن يكون (برينس) فى أمان .. أتمنى أن يكون قد فرّ بماله . لا أبالى بما يقولون عنه .. المهم أنه صديقى ..

اتصلت بـ (دوت) أخبرها بالعرض الذى قدمه المحامى لى . قالت فى عصبية : إنها لا تريد مالاً .. هنا عرفت أن الدمَ هو ما تبغيه .. سيكون (دونى راى) قد مات ، وهى لن تستفيد بكل مال الدنيا وقتها .

قلت لها باقتناع :

- « أنا كذلك لا أبغى تسوية . إن معنى هذا أن هؤلاء القوم خائفون .. »

يمكننى أن أقنعها بأن القاضى سيلغى القضية .. أقنعها بأن تأخذ المال مادام ذلك بوسعها .. أريها أهوال يوم الدينونة القادم .. لكننى لست من هذا النوع .. لقد وصلت إلى السلام مع نفسى ..

* * *

فى الأيام التالية استأجرتُ مكتبًا جديدًا مع (ديك) .. شقة من أربع حجرات .. ستكون هى محاولتنا الأولى للبدء منفردين .. لكن هناك كثيرًا من أعمال الطلاء على عاتقنا ..

إن (ديك) متحمس .. إن فكرة ممارسة المحاماة دون رخصة والحصول على نصف الأتعاب تروق له حقًا ..

لقد طبع نماذج ورقية عليها شعار الشركة .. وماذا عن الفاكس ؟ لننتظر .. الهاتف يأتى غدًا .. لا داعى لآلة تصوير مستندات . سنصور ما نريد بالخارج .. نحتاج إلى جهاز ردّ على المكالمات بثمانين دولارًا .. نحتاج إلى حساب مصرفى ودفتر شيكات ...

* * *

من جديد دق جرس الهاتف عندى قبل الشروق ..
كان هذا هو (ديك) .. كان من العسير أن أكون لطيفا .. أريد أن أوقفه عن هذه العادة المقيتة .. قلت له مزمجرًا ..

- « اسمع يا (ديك) .. من حقك أن تصحو فى الرابعة لكن لا تتصل بى قبل الثامنة .. أفهمت ؟ »
- « لكن هناك شيئًا مهمًا .. هل تعرف من مات أمس ؟ »

كيف لى بحق السماء أن أعرف من مات فى (ممفيس) كلها ؟ قال لى :
- « (هارفى هيل) ! »
- ماذا ؟ »

- « القاضى (هارفى هيل) توفى بأزمة قلبية ! »
من العسير أن أصدق هذا .. إن رأسى يدور ..
- إن صورة كبيرة له فى الصفحة الأولى من الجريدة .. لقد توفى فى الثانية والستين .. ظل قاضيًا أحد عشر عامًا .. هناك تكهنات كبرى حول من سيخلفه .. الحاكم سيعين خليفة مؤقتًا له حتى الانتخابات القادمة .. إن المرشح الأول هو (تايرون كيلر) .. »

(تايرون كيلر) هو شريك فى شركة (بوكر) .. رجل زنجى فاضل .. حاضرنا فى (قانون الدستور) فى العام الماضى ...
هرعت إلى المحكمة لأرى ملفات قضية (بلاك) ، وتنفست الصعداء ..
لحسن الحظ لم يرفض سعادة القاضى المرحوم (هيل) القضية قبل وفاته ، نحن مازلنا فى المعترك إذن .
اتصلت بشركة (بريت) وقلت لـ (دراموند) إن عملائى يرفضون التسوية ..
فقال بصوت منهك محزون لفقد صديقه القاضى :
- « إن هذا خطأ يا (رودى) .. »
- « عملائى مصرون .. »
- « إذن هى الحرب .. »
قالها بحزن كأنه فى صفى .. ولم يحاول زيادة المبلغ المعروض علينا ..
إن القاضى الجديد زنجى .. وهذا يعنى أنه سيصغى لـ (بروكر) حين يعرض عليه قضية آل (بلاك) .. ثم إنه يمقت شركات التأمين ويحب أن يقاضيها طيلة

الوقت .. لقد مات (هيل) .. وعادت العدالة إلى الحياة ..

* * *

قابلت القاضي الجديد في مكتبه ...

إنه في الأربعين من عمره .. له صوت رخيم وعينان لا تطرفان .. وهو ذكي جدًا .. ويقال إنه سيكون أعظم قاض فيدرالي يومًا ما ..

رحنا نتحدث عن هذا وذاك .. ثم سألني عن قضية آل (بلاك) ..

قال لي بخبرته بعد ما شرحت له الموقف :

- « سيضايقونك بموضوع الحصول على الوثائق التي تريدها .. هكذا الأمر مع شركات التأمين دائمًا .. ستقضي وقتًا طويلاً في جمع الأوراق .. »

سرني أنه استعمل صيغة المتكلمين حين قال (سنقضي) .. ليس هذا خطأ .. ربما بدا (كيلر) منحازًا لجانبي قليلاً ، لكن (هارفي) كان منحازًا بنفس القدر إلى خصومي .. إن هذا عادل ...

* * *

اعتدت أن اتصل بـ (دوني راي) كل ظهر .. قالت لي (دوت) إن هذا كان يعني له الكثير .. اعتدنا الحديث حول كل شيء إلا مرضه والقضية .. ثم اعتدت أن أمر عليه أسبوعيًا لنشاهد مباريات الكرة ، فنجلس تحت شجرة .. وأبتاع له الفيشار والكولا ...

ويجيء الليل فأعود به إلى الدار وقد تسلل النعاس إلى عينيه ..

كنت قد قدمت طلبًا للمحكمة بأن نأخذ إفادة الفتى بأسرع وقت ، لأن حالته تتدهور سريعًا ، وسيكون عسيرًا بعد أسبوع أن يجلس أمام المحكمة ليتحمل ساعتين من الأسئلة ..

يجب أن نسرع قدر الإمكان ...

* * *

ثم اعتدت أن أمر عليه أسبوعيًا لنشاهد مباريات الكرة ،
فنجلس تحت شجرة .

اليوم الأول من المحاكمة تحت رئاسة القاضي (كيلر) ..

جلس (دراموند) وسط محامي شركة (بريت) ، واثنين من شركة (الفائدة العظمى) إن المحـامين المحيطين بـ (دراموند) مرموقون حقًا .. وكم من واحد منهم كنت أستذكر من الملخصات التي أعدها في أثناء دراسته ..

تقدم (دراموند) إلى القاضي ليقول :

- « نودّ من سعادتكم أن نطالب بنقل القضية إلى محكمة فيدرالية .. »

قال القاضي :

- « لتفعل ذلك .. ولكن لماذا لم تطلب ذلك حين كان (هارفي) هو القاضي ؟ »

كان (دراموند) مستعدًا لهذا .. فهو ثخين الجلد ، ولن يترك هذا القاضي حديث السن والخبرة يضايقه .. لذا قال :

- « سعادتكم .. كنا منشغلين بجمع الأدلة والحقائق .. أما الآن فنحن نطلب ذلك .. »

بدا على وجه (كيلر) أنه لا يصدق حرفًا مما يقال .

وراح (دراموند) يتكلم عشر دقائق ملخصًا القضية .. لم يكن يهاب القضاة .. فهو قد رأى العشرات منهم فى حياته يأتون ويذهبون . أما أنا فأحتاج إلى عشرة أعوام فى المحكمة كى لا أرتجف من هؤلاء القوم لابسى الروب الأسود ..

قال القاضى مقاطعًا :

- « عذرًا .. لو كان لديك شىء جديد تضيفه أو توضحه فعليك به .. فيما عدا ذلك كل شىء مدون لدينا هنا فى الأوراق .. »

تجمد (دراموند) .. وفتح فاه وراح يرمق سعادته .. ثم بارتباك قال :

- « حاولت أن أزيد النقاط جلاء للمحكمة سعادتكم .. »

قطب المحامون المحيطون بـ (دراموند) .. إن بطلهم يُهان .. وهذا ليس محببًا ..

إن هناك جوًا عامًا من الذعر بينهم .. بالتأكيد ليس بسبب وجودى .. من المعتاد أن توكل شركات التأمين محامين لقضاياها . لا أكثر ولا أقل .. أما هذا العدد فأكثر من اللازم .. إن هؤلاء القوم خائفون حقًا ..

يقول القاضى بحزم :

- إن طلبك بنقل القضية مرفوض يا مستر (دراموند) .. هل من شىء آخر ؟ »

- « لا سعادتكم .. »

ونظرت له وهو يجمع أوراقه لينصرف .. قال القاضى :

- « الآن .. المدعى المدنى .. »

كانت كراهية القاضى لـ (دراموند) واضحة ، إلى درجة أنهما لا يتبادلان النظرات تقريبًا .. إن هذا لحسن حظى ...

- .. هل تستطيع أن تفرغ خلال عشر دقائق ؟ »

كنت قد اتعظت بالموقف الذى رأيته من فورى ، لهذا اتبعت استراتيجية مختلفة :

- « شكرًا سعادتكم .. إن أوراقى تتحدث عن نفسها ، وليس عندى جديد كى أضيفه .. »

ابتسامة دافئة على شفتيه .. يا له من محام شاب ذكى !

ثم إننى تقدمت بطلبى كى يتم الاستماع لإفادة (دونى راى) سريعًا ، وقدمت تقريرًا موقعًا من

د. (والتركورد) يقول فيه : إن (دونى راى) لن يعيش طويلا .. وافق القاضى على الطلب ثم سألنا أن نحدد وقتًا ..

قلت أنا باسمًا :

- « أى يوم سعادتكم .. أى وقت »

هذه هى ميزة ألا يكون عندك شىء آخر تفعله ... لكن المحامين خصومى راحوا يقلبون دفاتر مواعيدهم بحثًا عن يوم يصلح للاستماع ..

قال (دراموند) جالسًا :

- إن أجندة مواعيدى ملأى سعادتكم .. »

المحيطون به يقطبون .. يفركون ذقونهم .. الأمر صعب .. كلهم مشغولون ..

سأل القاضى (دراموند) :

- « هل قرأت التقرير الطبى ؟ »
- « نعم سيدى .. »
- « هل تشك فى صدقه ؟
- « أردت القول .... »
- « نعم أم لا ؟ »
- « لا .. »

- « حسن .. الفتى سيموت قريبًا .. وعلينا سماع وتسجيل إفادته .. »
- « لكن سعادتكم .. إن الثلاثاء يناسبنى .. ولكن لا .. عندى محاكمة تبدأ الاثنين .. »
- « وماذا عن السبت القادم ؟ »

هنا نهض (ت . بيرس) واعتذر لأنه سيكون فى زفاف شقيقته السبت القادم . من مصلحتهم أن يؤجلوا الموعد حتى يموت (دونى راى) ، وحتى لا يرى المحلفون وجهه المتهدّل ، ويسمعوا صوته المعذّب ..

إن هؤلاء الخمسة القادرون على أن يجدوا من الأعذار ما يؤجل سماع الإفادة حتى أموت أنا بالشيخوخة .. لهذا قال القاضى :

- « ستكون الإفادة يوم السبت .. يؤسفنى أن هذا لن يناسب الجميع لكن وجودكم جميعًا ليس شرطًا .. »

هزّ (دراموند) كتفه فى تهذيب ، وعرفت أنه يقول فى سره شيئًا على غرار (شكرًا على لا شىء سعادتكم) أو (لِم لا تعطى المدعى مليون دولار وننهى الأمر ؟) .. لكنه كالعادة بدا مهذبًا رقيقًا ..

* * *

كان (ديك) شريكى منهمكًا فى المكتب ، كان يكنس الأرضيات .. ويرتب الملفات .. ويجرى مكالمات عديدة مع من لا يعلم إلا الله .. وكان يطبع على الآلة الكاتبة بسرعة لا بأس بها . ويذهب ليبتاع القهوة والشطائر .. كانت كرامته غير متوهجة جدًا ولم يكن يريد سوى إسعادى ..

لكنه كان حانقًا لأننى لا أطارد حوادث السيارات بما يكفى .. ولكم قال لى إن هناك محامين جياعًا كثيرين فى الخارج ، كلهم يعرف قوانين لعبة قطع الرقاب هذه .. اجلسْ ها هنا دون حراك ولسوف تموت جوعًا .

ذهبت إلى مكتبة المحكمة مرارًا لأقرأ قضايا (دراموند) السابقة ، وحفظتها عن ظهر قلب .. أحيانًا كان خصومه بارعين ، وأحيانًا كانوا سيئين .. لكن فى كل الظروف بدا لى أنه يملك اليد العليا ...

لقد حفظت ودرست كل ما قاله أو كتبه (دراموند) على مدى عشرين عامًا ..

* * *

- ١٨ -

قرر القاضى (كيلر) أن تؤخذ إفادة (دونى راى) فى داره .. من المعتاد أن يتم هذا فى مكتبى ، لكن (دوت) أخبرتنى أن (دونى راى) لم يعد قادرًا على ترك الفراش .. إذن سيكون علينا أن نأخذ الإفادة فى داره ..

اتصلت بـ (دراموند) الذى رفض الفكرة ، وقال : إنه يفضل الانتظار حتى .. حتى ماذا ؟ أعرف أنه يفضل الانتظار حتى تنتهى الجنازة .. لهذا اتصلت بالقاضى الذى أرغم (دراموند) على القبول ..

سيحضر (كيلر) الإفادة بنفسه ، وهذا غير مألوف .. لكنه كان يخشى أن يتلاعب (دراموند) بى حين يجدنى وحيدًا ، وقد يؤدى هذا لإلغاء الإفادة ..

ونمت ليلتها أسوأ نوم ممكن .. الكوابيس تحاصرنى فى كل لحظة ..

وفى الصباح وصلت لمنزل (بلاك) .. كان (دونى راى) هناك ومعه نصّ كامل لأسئلتى وإجاباتها .. لقد عملنا بروفات عديدة لهذا من قبل .. أما الأم (دوت)

فكانت قلقة منهمكة فى التنظيف .. فهناك قاض ومحامون سيكونون هنا بعد قليل ..

وصل (ديك) حاملاً كاميرا (فيديو) عتيقة استأجرها .. ثم جاء القاضى (كيبلر) وعرض علينا أن يتم التصوير فى الفناء الخلفى .. إن الضوء لا بأس به فى الخارج .. وبدأت و (دوت) نقل المقاعد إلى الفناء الخلفى ، فإذا بالقاضى يساعدنا فى بساطة .. ويحمل مقعدًا هو الآخر ..

احتشد الجيران فى الفناء الخلفى يرمقون ما يجرى فى فضول .. ثم وصل كاتب المحكمة ، ثم وصل (دراموند) وعصابته فى التاسعة .. وجلس الجميع هناك حول (دونى راى) .. فى حين راح (ديك) يجرى هنا وهناك بالكاميرا .. وأسلاك الكهرباء تتدلى وراءه فنكاد تقتلنا جميعًا صعقًا ..

نظرت إلى (دراموند) الذى يرى (دونى راى) لأول مرة .. وفى سرّى قلت له :

انظر جيدًا يا مستر (دراموند) .. هذا هو ما فعله عميلك به !

كان (دونى راى) فى حالة أسوأ مما رأيته من

قبل . شاحبًا .. وجهه مبتلٌ بالعرق .. لا يملك العافية كى يصافحنا .. دنونا بالكاميرا لتظهر وجهه طيلة الإفادة ، وستجرى الأصوات من خارج الكادر ..

جرع (دونى راى) جرعة من الماء .. إنه يعرف معنى هذا الذى يجرى .. إن إفادته مطلوبة لأنه سيكون ميتًا حين تبدأ المحاكمة . والمفترض منه أن يثير التعاطف من حوله .. يجب أن يبدو سقيمًا جدًا ..

جعله القاضى يحلف اليمين . وكان علىّ أن أبدأ ..

سألته عن اسمه .. وعنوانه .. وتاريخ ميلاده ..

أجابنى ببطء وهو ينظر إلى الكاميرا .. والجو يزداد حرارة .. خلع المحامون ستراتهم وفكوا أربطة أعناقهم ..

سألت (دونى راى) عن كونه ترك المنزل من قبل ، وعن بطاقته الانتخابية ، وعن سوابقه القانونية .. كان ردّه بالنفى دومًا . ثم رحت أسأله عن مرضه وانتهيت بعد عشرين دقيقة ..

ورأيت (ديك) يرفع إبهامه لأعلى كأنما يخبرنى أننى الأعظم ..

جاء دور (دراموند) .. فراح بصوت رقيق يعرف نفسه .. ثم قال : إنه نادم على مجيئه لهذا الموقف المؤسى .. أعرف أنه يتحدث إلى المحلفين لا (دونى راى) ..

راح يسأل (دونى) عما إذا كان قد ترك البيت يومًا ليستقل .. أو رحل لمعسكر لمدة أسبوع مثلاً .. أو استخرج بطاقة صحية فى وظيفة ما .. يحاول أن يثبت أن (دونى) قد استقلَ عن البوليصة بعد أن صار بالغًا ..

لكن إجابة (دونى راى) واحدة : لا يا سيدى ..

انتهى (دراموند) خلال عشر دقائق . فلم يكن يرغب فى الضغط على الفتى كثيرًا .. وأغلق (ديك) الكميرا . وبدأ المحامون ينهضون .. رحت أساعد (دوت) على إعادة (دونى راى) إلى المنزل .. وبطرف عينى رأيت (ديك) عند السور يوزع إعلانات مكتبنا على القوم المتزاحمين ! يا لك من فتى ذكى !

* * *

- ١٩ -

كانت المرأة واقفة فى شقتى بالفعل ، منهمكة فى تصفح إحدى المجلات ، حين دخلت فأجفلت فزعًا .. وسألتنى :

- « من أنت ؟ »

- أنا أعيش هنا . من أنت بحق السماء ؟ »

قالت وهى تسترد أنفاسها :

- « يا إلهى ! أنا زوجة (ديلبرت) . لقد أعطتنى (بيردى) المفتاح ، وسمحت لى بتفقد المكان .. »

- « هذه ملكية خاصة .. ليس الدخول من حقك . »

هنا بدأت أتذكر .. أن (ديلبرت) هو أصغر أبناء مس (بيردسونج) ، ذلك الذى يعيش فى (فلوريدا) ولم يتصل بها منذ أعوام .. إذن هذه زوجته .. انها فى الخمسين من العمر لها بشرة نحاسية غريبة .. بشرة عاشقة للشمس ..

انسلت المرأة خارجًا ، فتبعتها . ووجدت مس (بيردى) جالسة على الأريكة تتابع التليفزيون .. ورأيت رجلاً أسمر ضخم الجثة أشيب الشعر . له

عوينات إطارها مذهب ، وحول معصمه (انسيال) ذهبى . نموذج لقواد عصرى . قال لى :

- « لابد أنك المحامى .. »

ورأيت أوراقا كثيرة على المنضدة . فقلت له :

- « أنا (بايلور) .. »

- وأنا (ديلبرت) .. هلا تفضلت بالجلوس ؟ »

لكننى ظللت واقفا . ونظرت حولى فعرفت انهما تعاملا مع الشقة على أنها ملكهما .. كان هناك الكثير من الفوضى ، وقالت المرأة وهى تفتش الثلاجة :

- « لقد أمرنى أن أخرج من شقته .. »

فصحت فى عصبية :

- « بالطبع .. إنها ملكية خاصة . ولا احد يحق له الدخول . إن مس (بيردى) هى صاحبة الشقة التى أدفع إيجارها .. »

مس (بيردى) لم تتدخل فى الكلام كأنها لا تسمع .. وسمعت الرجل يقول وهو يصلح من وضع عويناته :

- « يبدو أنك كنت تعبث بوصية (ماما) »

نظرت إلى الأوراق .. إن بينها وصيتها الحالية .. إن هذا مقلق .. فمس (بيردى) لم تطلع ولديها قط

على هذه الوصية . لكن الوصية تقول بوضوح إن لديها عشرين مليونا .. لقد قرأها الرجل حتما .. لكن كيف حصل عليها ؟ ما كانت لتعطيه إياها بسهولة . هل وجد النسخة التى فى حجرتى ؟ »

يقول الرجل فى فظاظة وقحة :

- « لهذا يكره الناس المحامين .. مررت بالصدفة على (ماما) لأجد أن محاميا نتنا يعيش فى دارها .. ألا يثير هذا قلقى ؟ »

قلت فى حنق :

- « أنا أعيش فى شقتى ، وهى مسكن خاص له مفتاح . ادخلها ثانية ولسوف تكون فى مشكلة مع الشرطة .. »

- « هل أعددت وصية جديدة لأمى ؟ »

- « إنها أمامك .. فاسألها .. »

- « إنها لا تنبس بحرف .. يبدو أنك تتلاعب بنا أيها الصبى .. »

تركتهما وغادرت المكان متجها لشقتى .. لايبدو أثر عبث فى المستندات التى أحتفظ بها .. لكن من يدرى ؟

* * *

عندما حل الظلام عدت لشقتى ، فوجدت سيارتين (بونتياك) جوار سيارة مس (بيردى) (الكاديلاك) وسمعت صخبًا من عند مس (بيردى) . فحاولت التسلل دون ضوضاء حتى لا يشعر بى أحد .

لقد تزايد العدد كما هو واضح . لكن (ديلبرت) رآنى ونادانى . كان أمرًا أكثر منه دعوة .. وسرعان ما لحق به رجل آخر قدمه لى وصافحنى :

- « هو ذا أخى (راندولف) .. »

ثم صافحت زوجته (جون) التى نظرت لى نظرة مميتة . وكانت مس (بيردى) جالسة ذات الجلسة على الأريكة حيث رأيتها ..

وتذكرت هنا أن (جون) هى المرأة التى وصفتها مس (بيردى) بأنها متشردة ، لا تحب سوى المال .. والآن ماذا يريد هؤلاء السادة الظرفاء منى ؟

قال لى (راندولف) :

- « إن الأمور تتغير يا (رودى) .. فقد جئنا هنا لنعنى بشئون (ماما) .. إن (ماما) أخبرتنا بالإيجار .. وهو قليل جدًا .. »

- « بالفعل هو كذلك .. »

قالتها (جون) فى حماس ..

فسألت مس (بيردى) بدورى :

- « هل شكوت من هذا يا مس (بيردى) ؟ لا ؟ إذن ما دامت صاحبة العقار راضية فما شأنكم أنتم ؟ »

قال (راندولف) :

- لا نريد أن يستغل أحد (ماما) .. هذا هو كل شىء .. »

وجدت مس (بيردى) راضية تمامًا .. إن أطفالها هنا يهتمون بها ، ويراعون مصالحها . من ثم وجدت أن الأفضل أن أنسحب الآن ..

وفى شقتى التهمت شطيرة ورحت أفكر .. أمس مرَّ (ديلبرت) عليها وعرف بالصدفة أنها تملك عشرين مليونًا . من ثم راح يهتم بصحتها بشدة . اتصل بـ (راندولف) ليهرع من (فلوريدا) مع زوجته .. تعال لندافع عن حقوق (ماما) الحبيبة ..

ماذا لو عرف هذان المخبولان الحقيقة ؟

لقد أرسلت (ديك) ليتحقق من الأمور فى (أطلانطا) .. وقد عاد ليخبرنى بالخبر اليقين .. المرأة لا تملك سوى مائتى ألف من الدولارات ، وكل ما عدا ذلك هو خيال فى خيال ..

لكنها الآن سعيدة راضية .. وهذا يسعدنى .. لقد استعادت طفليها أخيرًا ..

* * *

فى اليوم التالى وجدت مزيدًا من السيارات أمام الباب .. إنهم الأحفاد حتمًا .. لقد تعاملوا مع الأمر كأنه نداء للمطافئ . إنها تملك مالاً .. ومكالمة تلو الأخرى . أسرعوا .. إن اسمكم فى الوصية وأمامه مليونان من الدولارات . وذلك المحامى يحاول تغييرها .. أسرعوا !

لقد حان الوقت كى نحبُ (تيته) !

* * *

بعد أسبوعين عدت للدار لأجد كل السيارات قد اختفت . لم تبق سوى سيارة مس (بيردى) وحدها ..

دخلت متجهًا إلى شقتى .. حين سمعت صوتًا لم يكن صوتها .. كان هذا هو ابنها (راندولف) يناديني .. ولاحظت أن الأنوار مطفأة ..

ـ « أين مس (بيردى) ؟ »

ـ « لقد رحلت اليوم .. ستمضى بعض الوقت معنا فى (فلوريدا) .. »

ـ « متى ستعود ؟ »

ـ « لا نعرف . سنعنى بها وبأعمالها .. لكننا نريد أن تقيم فى هذا المنزل وتعتنى به .. ولا تدفع أيجارا »

سألته :

ـ « كيف أعتنى به ؟ »

ـ « ما كنت تفعله دائما . البريد سيصل إلى العنوان الجديد .. وهاك مظروف به المفتاح وأرقام الهاتف الخاصة بنا . كل شىء .. إنها صفقة جيدة .. »

هى كذلك حقًا .. لذا قلت له :

ـ « موافق .. »

ـ « حسن إن (ماما) تحبك وتثق بك . وترى أنك شاب لطيف . سأقود سيارتها إلى (فلوريدا) غدًا .. »

أستطيع أن أتصورهم الآن يتقاتلون على خدمة (تيته) الحبيبة ، وكلهم يأملون ألا تعيش طويلا ..

أنا أعرف أنها تحبنى حقًا .. لكن هل سأراها مرة أخرى ؟

إن هؤلاء القوم سيحاصرونها حتى تموت ، ولن يتركوها تعيث هنا وهناك بوصيتها .. لكنى لا أستطيع أن أخبرهم أنها مفلسة ..

لقد كانت تحب الاهتمام دومًا .. لها قلب من ذهب لكنها تعشق لفت الأنظار .. ولسوف تجد ما تحب في (فلوريدا) ..

شعرت بذلك الألم الممض .. ألم فقدان صديق ..

* * *

- ٢٠ -

في ذلك الوقت كانت حرب الورق مستعرة بيني وبين (دراموند) .. في كل يوم أجد في بريدي مئات الوثائق التي يطالبونني بها ، ومئات الوقائع التي يعطونني فترة أسبوع كي أنفيها ، وإلا كان من حقهم اعتبارها حقائق للأبد ..

إن القانون يجبرهم ويجبرني على إرسال الوثائق التي يطلبها كل منا ..

وفي الوقت ذاته راحت حالة (دوني راي) تتدهور أكثر .. لم يعد يتكلم ولا يأكل .. فقط يتنفس .. وحتى هذا سيكفُّ عنه بعد أيام ..

وجلست أمام فراشه أفكر .. من العار في هذا الزمن - زمن الأطباء البارعين والمستشفيات البراقة وكل المستحقين لجائزة (نوبل) - أن يموت هكذا .. في فراش بداره دون أدنى رعاية صحية .. هكذا يموت الفقراء ..

إنني وحدي .. معدوم الخبرة .. أعزل .. لكنني على حق .. ولو لم يربح آل (بلاك) القضية

فلا شيء عادل فى النظام القانونى كله ...

نظرت لجسده الهامد .. وأقسمت على الانتقام ...

* * *

صباح الاحد سافرت إلى (كليفلاند) لأجرى بعض التحقيقات فى المقرّ الأساسى لشركة (الفائدة العظمى) .. لكنى فوجئت بأننى كلما سألت عن اسم من الأسماء التى أردت سؤال أصحابها ؛ وجدت من يقول لى : إنه استقال أو فُصل أو اختفى !

كان أهم اسم هو اسم (جاكى ليمانتزيك) وهى التى تتولى أمر مطالبات الدفع . لكنها استقالت منذ أسبوع .. لم يعد من الممكن طلب شهادتها .. ولا أحد يعرف مكانها .. لقد طردت الشركة القوم كى تمنعهم من الكلام .. كانت (جاكى) هى المسئولة عن خطاب الغباء إياه ، الذى قالوا فيه لمس (دوت) إنها غبية .. غبية غبية ..

وتركت (كليفلاند) شاعرًا بخيبة الأمل . وأخبرت القاضى بما حدث ...

توجهت إلى المحكمة بعد عودتى إلى (ممفيس) ..

وجدت القاضى يوبخ (دراموند) على تأخير الوثائق والشهود عنى .. لم يكن هذا خطأ (دراموند) ..

إن موكله يلعب معه ألعابًا سخيفة .. ومطلوب منه أن يدافع عن سلوك عميله المريب .....

مسكين (دراموند) .. وهو المعتز بنفسه ولا يقبل إهانة ..

قال القاضى :

- « إننى آمر شركة (الفائدة العظمى) أن تدفع لمستر (بايلور) نفقات رحلته الضائعة إلى (كليفلاند) ، على سبيل العقوبة .. كم تكلف رحلة الطائرة ذهابًا وإيابًا إلى هناك يا مستر (بايلور) ؟ »

- « سبعمائة دولار سعادتكم .. »

- « وكم أنفقت على المأكل والإقامة ؟ »

فى الواقع أقل من أربعين دولارًا .. لكن هذا رقم محرج كى أقوله أمام الخصوم .. أنا واثق من أن غرفة كل منهم فى (كليفلاند) تكلف مائة وخمسين دولارًا فى الليلة ..

- « مائة دولار سعادتكم .. »

وأمر القاضى بأن تدفع لى الشركة ثمانمائة دولار .. وما لم يحدث هذا خلال خمسة أيام سيتضاعف المبلغ يوميًا عن كل يوم تأخير ..

* * *

دق جرس الهاتف فى الثالثة والثلث صباحًا . قلت لنفسى : إن هذا هو (ديك) حتمًا يبلغنى بسقوط طائرة .. لكنى سمعت صوتًا مألوفًا ..

- « مس (بيردى) ؟! »

وأضأت الضوء جوار الفراش ..

- « كيف حالك ؟ »

- « حسن .. إنهم يعاملوننى بحقارة ها هنا .. »

أغمضت عينى .. لماذا لست مندهشًا لهذا ؟

- « (جون) هى أكثرهم حقارة . إن الأمر لا يطاق .. أحيانًا أخشى أن آكل خشية أن تكون قد سممت طعامى .. أنا جادة . إنهم ينتظرون موتى ، وقد جعلونى أوقع على وصية جديدة تعطيهم ما يريدون .. لقد ظلوا ظرفاء بضعة أيام ، ثم أخذونى لفحص طبى فقال لهم الطبيب : إننى بصحة ممتازة .. خاب أملهم وتبدلت معاملتهم .. »

- « ولماذا تتصلين ؟ »

- « حسن .. أكاد أختنق .. إن (جون) منعتنى من استعمال الهاتف .. لا أستطيع البقاء أكثر . فهم يحبسوننى فى غرفتى .. وأنت تعرف أننى أحب

المنازل الواسعة الملأى بالغرف .. ويحاول (راندولف) أن يجعلنى اكتب توكيلاً .. »

- « لا توقعى على شىء يا مس (بيردى) .. مفهوم ؟ »

- « ليس هذا كل شىء .. فأمس ... أو .. كفى ! شخص قادم ! وداعًا يا (رودى) ! »

ووضعت السماعة ..

بإمكانى أن ارى (جون) تجلد مس (بيردى) بحزام جلدى ، عقابًا لها على هذه المكالمة المسروقة .

على كل حال لو طلبت منى مس (بيردى) أن أعيدها إلى هنا فسأفعل .. لا شىء بوسعى عمله الآن .. يجب أن أعود للنوم .. .

* * *

صباح الأحد جاءت المكالمة التى كنت أخشاها ..

كان هذا صوت (دوت) تخبرنى أن الأمر حدث منذ ساعة .. لقد ذهب (دونى راى) لينام لكنه لم يصح حين حاولت إيقاظه .. كانت متماسكة لكنها تحاول ألا تبكى .. وراحت تردد مرارًا : إنه مستريح الآن ...

وعدتها أن اتى حالا   واتجهت إلى الفناء الخلفى
ورحت امسح الدموع عن عينى .. وأصلى من أجله ..
إن الجنازة غدا بعد الظهر ..

وفى الجنازة كان الجيران كلهم موجودين .. عانقت
(دوت) فشكرتنى على قدومى .. عيناها حمراوان
كأنما لم تعد لديها دموع أكثر ..

وفى الفناء الخلفى رقد (دونى) ليستريح حتى
تقوم الساعة   وراح القس يتلو موعظته ، على حين
راحت عيناى تتأملان زوجها (بادى) وابنها (رونى)
توءم (دونى راى) الذى جاء من السفر ، ومن
الواضح أنه سيرحل بعد الجنازة فورا ..

* * *

عدت للمكتب لأجد (ديك) متوترا ..

كان جالسا مع رجل ضخم الجثة أحمر الخدين ،
من النوع الذى يستمتع بالمشاجرات . إنه مخبر
خاص يدعى (بوتش) .. وهو صديق (ديك)

فوجئت بـ (ديك) يناولنى وريقة كتب عليها :
تحدث فى أى شىء !

ثم سألنى عن الجنازة .. فقلت له :

- « مجرد جنازة أخرى .. »
- « وماذا عن الأسرة ! »
- « هم على ما يرام .. »

وفوجئت بـ (بوتش) يفك بوق سماعة الهاتف ،
ويشير إلى شىء بداخلها .. جسم صغير مستدير ملتصق
بالغطاء الداخلى .. نظرت لهما بعينين خرساوين فقال
(ديك) مستمرًا فى محادثته المزيفة :

- « ألا تعتقد أن الفتى قد استراح ؟ »
- « بلى .. بالتأكيد .. »

ورأينا (بوتش) يعيد السماعة لحالتها ، ثم طلب
منا (ديك) أن نترك المكتب لنشرب بعض القهوة ..
شعرت بغصة فى حلقى ....

وفى الشارع توقفت وصحت :

- « ماذا بحق السماء ؟ »

بدأنا نفهم .. كنا قلقين بخصوص المباحث
الفيدرالية فأنا و (ديك) كنا نعمل لدى (بروزر) .
لهذا استدعى (ديك) صديقه (بوتش) كى يفحص
أجهزة الهاتف ، وقد وجد ثلاثة أجهزة تنصُّت ..

- « يجب أن نفتش كل ملليمتر فى المكتب .. فلربما
هناك أجهزة أخرى .. »

وفوجئت بـ (بوتش) يفك بوق سماعة الهاتف ، ويشير إلى شىء بداخلها ..

ثم إن (بوتش) أضاف :

ـ « يمكنك أن تنتزع أجهزة التنصُت . لكن الأفضل أن تتركها وإلا عرفت المباحث الفيدرالية بهذا .. وعندها سيجدون طريقة أفضل للمراقبة .. يمكنك دومًا أن تنتقى كلماتك فى أثناء الحديث بالهاتف .. »

وعدنا إلى المكتب كى نمشطه .. ورحنا نفعل ذلك ونحن نثرثر أنا و (ديك) فى أى كلام فارغ ، وليكن الاتصال بيننا بالإشارات .. رحنا نقلب الموائد ونفتش فى سلال المهملات والملفات .. حمدًا لله على هذا الأثاث القليل الذى يسهل تفتيشه .. لكننا لم نجد شيئًا جديدًا ..

وهكذا صار علينا أن ندعو (بوتش) إلى عشاء دسم ...

* * *

- ٢١ -

بدأ مكتبنا يتخذ شكلاً تجاريًا يوحى بكثرة العمل ، وتزاحمت الملفات هنا وهناك .. وقد وضعناها فى مكان يراه الزائر بسهولة ..

صار الهاتف يدق مرات أكثر .. لكنى كنت أتوجس خيفة فى كل مرة ..

إنه فبراير .. الشهر المحدد لبدء المحاكمة أمام المحلفين ..

وذات صباح - دون استشارتى - أخذ (ديك) جهاز الهاتف إلى (بوتش) ، واستعان هذا الأخير بأحد معارفه ممن كانوا يعملون فى الجيش سابقًا .. وطبقًا لما قاله الرجل ، فإن أداة التنصُت التى وجدها فى الهاتف ليست من الطراز الذى تستعمله المباحث الفيدرالية .. إنها أداة رخيصة الثمن متوسطة الأداء صنعت فى (تشيكوسلوفاكيا) .. وكان من رأيه أن الشرطة والمباحث لم تزرعا هذه الأداة عندنا ..

وتلقيت هذا الخبر فى الصباح .. هناك شخص آخر يتنصت .. لكن من هو ؟

هنا خطرت لى فكرة عبقرية .. ناديت (ديك) وأخبرته بما أعتزمه .. سيترك المكتب ويتجه إلى أقرب كابينة هاتف .. ويتصل بى .. ويبدأ حديثًا عن العمل .. وسرعان ما بدأنا التنفيذ ، وبعد كلمات عادية سألته :

- « هل تعرف من الذى يريد التسوية ؟ »

- « من ؟ »

- « المرأة .. (دوت بلاك) ! »

سألنى بطريقة تمثيلية تدلُ على موهبة رديئة فى هذا الفن :

- « أحقًا ؟ »

- « نعم .. لقد مررت عليها هذا الصباح ، فقالت لى : إنها لا تريد مواجهة المحاكم .. وإنها ستقبل مالاً لتسوية القضية والتنازل .. »

- « كم ؟ »

- « مائة وستين ألفًا .. لقد حاولت أن أقنعها .. لكنك لا تعرف مدى عنادها .. »

- « لا تفعل يا (رودى) .. إننا فى سبيلنا للحصول على ثروة .. »

- « أعرف .. لكن ماذا بوسعى أن أفعل ؟ إن مائة وستين هى طعام للدجاج . تعويض لا يساوى شيئا .. »

وانتهت المكالمة .. وبعد قليل عاد (ديك) ليجلس معى ..

* * *

فى التاسعة من صباح اليوم التالى دق جرس الهاتف . كان هذا هو (دراموند) .. كنا قد اشترينا جهاز تسجيل مكالمات صغيرًا من (راديو شاك) ، وقد أوصلته بالهاتف ، داعيًا الله ألا يفسد عمل جهاز التنصت .

قلت مرحبًا وأنا أضغط على زرّ التسجيل :

- « أهلاً .. »

أخلاق المهنة تقضى بإن أخبره بأننى أسجل المكالمة .. لكنى قررت ألا أفعل ..

هو قد تنصت على مكالماتى - أو هذا ما أظنه - فليس من حقه أن أعامله بشرف ..

قال (دراموند) :

- « هل تعرف يا (رودى) ما يريد موكلى ؟

إنهم لا يريدون إضاعة أسبوع فى (ممفيس) على هذه المحاكمة .. فوقتهم يساوى مالاً .. إنهم يريدون تسوية .. لقد افترضنا - لمجرد الجدل - أن موكلى مسئول عن عملية زرع النخاع .. ولنفترض أنه غطى تكاليفها .. عندها كان يجب أن يدفع مائة وسبعين ألفًا .. نحن سنقدم لكم هذا المبلغ إذن .. وسيكون الشيك عندك بعد أسبوع .. »

- « لكن ... »

- « اصغ يا (رودى) .. تعقّل .. وناقش موكلتك .. فأنا أراهن على أنها تريد تسوية .. هذه البائسة لاتدرى ما سيحدث فى المحكمة .. هلم اطلبها الآن .. »

وضعت السماعة ، وأرجعت الشريط وأدرته عاليًا .. بينما (ديك) ينظر لى مصدومًا لا يصدق .. وحين انتهت المكالمة قلت بصوت ثقيل :

- « يجب أن نخبر (كيلر) .. »

قال (رودى) وهو ينزع عويناته :

- « لا .. نحن نعرف أن (دراموند) يتجسس علينا .. لكننا لا نستطيع إثبات أنه هو من وضع أجهزة

التنصت .. لن نضبطه متلبسًا أبدًا .. فكيف يتهمه (كيلر) ؟ مستحيل .. سيكتفى بجعل حياته سيئة فحسب .. »

- « (دراموند) قد اعتاد هذا على كل حال .. »

ونحن كذلك مذنبان .. فتسجيل المكالمات دون إذن جرم فادح .. ولو أذعت هذا الشريط على الملأ فلن يعاقب (دراموند) .. بل سأعاقب أنا ..

أتراه هو من فعلها أم هى شركة (الفائدة العظمى) ؟

أرى أن نستغل أجهزة التنصت هذه لمصلحتنا ...

* * *

بعد يوم اتصلت بـ (دراموند) لأخبره بالخبر المؤسف : عميلتنا ترفض العرض ..

إنها غريبة الأطوار حقًا .. تارة ترغب فى تسوية وتارة ترغب فى محاكمة .. لم يبد مندهشًا .. لكنه عاد ينذرنى بأنها ستكون محاكمة قذرة ..

إن المال لا يهم أسرة (بلاك) .. فلم يكن عندهم مال قط .. ولا يهمهم الثراء الآن .. كل ما يريدونه هو حكم نهائى يقول : إن شركة التأمين قد قتلت (دونى راى) .. يقول : إنهم على صواب ..

فيما يتعلق بى دهشت من قدرتى على تجاهل المال .. إنه لمبلغ مغر لكنى لا أهيم به حبًا .. إننى شاب .. ولست جائعًا .. وما زالت أمامى قضايا أخرى ..

* * *

جاء (الكريسماس) .. وكنت أعتزم ألا أقضيه فى المدينة . لذا ركبت سيارتى (الفولفو) المستعملة التى اشتريتها حديثًا ؛ واتجهت إلى (وسكونسين) .. وجدت فندقًا صغيرًا يقدم طعامًا ساخنًا .. إننى حر الآن ولا أحد يعرف مكانى فى العالم ..

اتصلت بأستاذى (ماكس لوبيرج) الذى استشرته بخصوص هذه القضية منذ فترة .. وكان قد جاء ليعمل أستاذًا زائرًا فى جامعة (وسيكونسين) ..

رحب بى ودعانى لزيارته .. فاتجهت إلى داره لأجلس معه ونرشف القهوة الساخنة . وبعد الثرثرة المعتادة سألنى عما حدث فى القضية ..

حكيت له كل شىء .. وبدا متفائلاً بصدد قوة موقفى .. راح يحاضرنى لمدة ساعة وأنا أدون ما يقول .. مثلاً نصحنى أن أبقى الأفضل للنهاية .. فلا

أعرض مثلا شريط الفيديو الخاص بـ (دونى راى) على المحلفين ، إلا قرب انتهاء المحاكمة حتى يظل أثره فعالا ..

ثم نهض وناولنى بعض الأوراق .. فسألته :

- « ما هذا ؟ »

- إنها بوليصة التأمين الجديدة لشركة (الفائدة العظمى) جعلت أحد تلاميذى يبتاعها ، ولسوف نلغيها الشهر القادم .. هل تعرف النصّ الجديد الذى أضافوه بخط سميك واضح هنا ؟ »

- « استثناء عمليات زرع النخاع من التمويل بالبوليصة .. »

- « تمامًا ! لقد أوضحوا هذه النقطة بعناية .. فى المحاكمة سيكون عليك أن تسألهم عن سرّ إضافة هذه الفقرة بعد رفع آل (بلاك) قضيتهم .. ما داموا لم يستبعدوا زرع النخاع فى وثيقة آل (بلاك) ، فهذا يعنى أنه كان عليهم دفع مبلغ المطالبة .. إنهم يعترفون بأنهم كانوا مخطئين .. »

كنت أسجل كل كلمة يقولها على جهاز التسجيل حتى ملأت ستة شرائط .. وودعته وانصرفت .. فلن أستطع أن أشكره كما يجب أبدًا ...

* * *

عدت إلى (ممفيس) مع بداية العام الجديد ..

وفى المحكمة ناول (كيبلر) كلًا منا - أنا والمحامى - ملفًا .. وقال :

- « هى ذى أسماء وعناوين المحلفين لتختاروا منها(*) . يوجد ها هنا اثنان وتسعون اسما يمكنكم التحرّى عنهم كما تريدون لكنى أحذركم من الاتصال الشخصى بأى منهم .. »

رحت أقرأ الأسماء . يوجد مليون شخص فى هذه المدينة .. فهل يمكن أن أعرف أحدًا من هذه الأسماء ؟ مستحيل . كلهم غير معروفين بالنسبة لى .

عدت للمكتب وتناولت غدائى وأنا أرمق القائمة ..

إن (دراموند) يملك طبعًا فريقًا من المحققين يمكنهم البحث عن هذه الأسماء جميعًا ..

سوف يتفقدون صحيفة سوابقهم ، وحالات الطلاق

(*) فى الولايات المتحدة تتم المحاكمة فى وجود المحلفين ، وهم اثنا عشر مواطنا عاديا حسن السمعة ، يحضرون المحاكمة ويكون عليهم بعدها تحديد هل المتهم مذنب أم لا فى حين يقتصر دور القاضى على تحديد العقوبة

او الإفلاس .. كل شيء مسموح به سوى الاتصال المباشر ..

بل إن (دراموند) عنده استشاريو محلفين .. إنها مهنة حقيقية مستجدة على عالم القانون .. إنهم علماء نفس أو أطباء نفسيون مهمتهم دراسة شخصيات المحلفين واستنتاج قرارهم .. وهم يبيعون خبراتهم بهظة الثمن لمن يستطيع الدفع .

إن اختيار المحلفين مشكلة .. بالنسبة لي يناسبني محلف شاب زنجي .. فثمة حكمة قديمة تقول : إن الزنوج مفيدون في قضايا الادّعاء المدني .. إنهم يشكون في المؤسسات الأمريكية التي أنشأها البيض .. ومن يستطيع لومهم ؟

تقول الحكمة كذلك : إن النساء يتعاطفن بسهولة خاصة مع القضايا التي يؤذى فيها الأبناء .. لكنّ لهن عيبٌ هو أنهن لا يوافقن على التعويضات الباهظة لأنهن يكرهن رؤية جيرانهن أثرياء .

لو كان لي أن اختار لاخترت اثنتي عشرة امرأة زنجية .. وحبذا لو كن أمهات !

إن اختيار المحلفين عسير .. لكن من المؤكد أن عليك أن تتجنب نوعًا واحدًا ، هو الرجل الأبيض الذي

يمارس وظيفة تنفيذية في شركة كبيرة .. فهذا الطراز متعلم ولا يعبأ بالمحامين .. لكنه ـ لحسن الحظ ـ مشغول دائمًا بحيث لا يستطيع أن يكون محلفًا ..

هنا خطرت لي فكرة خبيثة ...

أخبرت بها (ديك) فتحمس .. قررنا أن نلفق مكالمة هاتفية تمثيلية ..

وذهب (ديك) إلى هاتف عمومي قريب .. واتصل بي في المكتب ..

لقد أجرينا عدة بروفات على هذا ، بل إن كلاً منا لديه سيناريو مكتوب ..

ـ « لقد وجدت (دين جودلو) .. »

(جود لو) هو رجل أبيض يملك شركة لتنظيف السجاد .. وهو محلف لا أريده في أثناء المحاكمة

يقول (ديك) :

ـ « قابلته اليوم .. إنه رجل لطيف وكنا مخطئين بشأنه .. إنه يمقت شركات التأمين .. وهو على أتم استعداد ليدين شركة (الفائدة العظمى) .. »

إن فكرة أن يقابل المحامي المحلفين قبل المحاكمة هي فكرة لا تصدق .. وقد خشيت أن يعرف (دراموند)

أننا نخدعه .. لكننى قدرت أنه سيقع فى الفخ لأننى مبتدئ أخرق .. ويمكن أن أقع فى هذا الخطأ .. هكذا سيظن ..

وأواصل المكالمة :

- « هل تعتقد أن (جودلو) لن يتكلم ؟ »

- « أنا واثق من هذا ! »

وأحرك بعض الأوراق جوار السماعة .. ثم أسأل :

- « من الباقى فى قائمتنا ؟ »

- « دعنى أتذكر .. تحدثت إلى (درمونت كنج) و (جان ديسل) و (لورانس بيروتى) و (هليدا هاينذ) و (راتيلدا براوننج) .. »

كان كل هؤلاء من البيض الذين لا نريدهم فى المحاكمة .. إننا نلوث اسمهم بحيث يبذل (دراموند) ما بوسعه كى يبعدهم ..

- « كان بعضهم خائفين من الحديث معى .. لكنهم جميعًا فى صفنا وكلهم يعرف أن الشركة تملك أربعمائة مليون دولار .. »

أما آخر اسم فى القائمة - (راتيلدا براوننج) - فهى امرأة كنت أريدها معنا .. لهذا سألت (ديك) عنها ، فقال حسب المتفق عليه :

- « إنها زنجية متعصبة .. لقد طردتنى من مكتبها .. ولن تكون فى صفنا .. »

- « أما أنا فقابلت (إستر صمويلسون) .. امرأة لطيفة حقًا .. »

لو كان قلب (دراموند) ما زال يخفق ، فأنا واثق من أن شريانًا فى رأسه يوشك على الانفجار .. وأجمل شىء أن الرجل لا يستطيع أن يخبر أحدًا بما سمعه وإلا اعترف بأنه يتنصت على هاتفنا ..

وواصلت المكالمة مع (ديك) .. ثم وضعت السماعة ..

دق جرس الهاتف بعد دقائق .. كان المتكلم هو (بوتش) يلعب دورًا آخر كلفته إياه .. قال لى بصوت مستعار :

- « أنا (بيللى بورتر) .. لقد تركت لى رقمك فى متجرى اليوم .. »

كان (بورتر) رجلاً أبيض أردت استبعاده من المحلفين .. قلت له :

- « شكرًا على اتصالك .. أنا واحد من محاميى آل (بلاك) .. »

- « وهل هذا الاتصال قانونى ؟ »

- طبعا هو كذلك .. أنا أمثل العجوز البائسة التى مات ابنها بسبب شركة (الفائدة العظمى) .. إن الشركة مذنبة كالشيطان ، وهى أسوأ حالة رفض رأيتها فى حياتى .. وأتمنى لو تساعدنى .. »

- سأفعل ما أستطيع .. »

وهكذا ظللت و (ديك) طيلة اليوم نتحدث عن المحلفين الذين جندناهم فى صفنا ، وكلهم يتوقون لمعاقبة شركة (الفائدة العظمى) .. إن من يصغ لمحادثاتنا سيظن أننى و(ديك) لم نهمد لحظة واحدة فى ذلك اليوم ..

* * *

وصل المحلفون فى الثامنة والنصف .. وجلسوا - متوترين قليلا - فى مقاعدهم . وجلست أتأملهم .. لم يفتنى أن ألاحظ أن خصومى المحامين تبدو عليهم المرارة ، ويغمرهم الاشمئزاز منى .. وتجنبوا النظر إلى .. إنهم يعلمون !

هنا بدأت أمارس لعبة (داوود وجالوت) .. الشخص الصغير أمام العملاق ... فالمحلفون يرون

أننى فقير وحيد أعزل من السلاح ، أمام وحوش أثرياء عمالقة .. إننى لا أفهم كيف فات هذا على (دراموند) ؟ لماذا أحضر خمسة محامين ضدى . برغم أن هذا يستفزّ المحلفين ؟ مادام قد جلب كل هذا العدد من المحامين فمن المؤكد أن موكله مذنب بشكل ما ..

دخل (كيلر) القاعة فنهض الجميع ..

رحبَ بالمحلفين وتحدث عن واجباتهم . ثم بدأ بالسؤال :

- « هل تعرفون أيًا من طرفى النزاع ؟ أيًا من المحامين ؟ أيًا من الشهود ؟ هل قاضى أحدكم شركة تأمين من قبل ؟ »

أجاب البعض أن نعم .. فكان عليهم أن ينسحبوا .. وتضاءل العدد ..

بدأت ثقتى فى نفسى تتزايد .. أستطيع القيام بهذا .. إننى محام ...

جاء دورى كى أتكلم لأول مرة أمام المحلفين .. قلت الكلمات التى حفظتها عن ظهر قلب مئات المرات .. ثم سألتهم باسمًا :

- هل لدى أحدكم أى سبب يمنعه من أن يكون هنا ؟ »

لم يرد أحد .. فشكرتهم وجلست مبتسمًا معلنًا أننى لا أعترض على أحد ..

جاء دور (دراموند) .. حاول أن يبدو هادئًا لكننى كنت أعرف أنه يحترق من الداخل .. قدم نفسه ثم راح يتحدث عن عميله .. عميله الذى هو شركة عظمى لاتستحق عقابًا على سبب كهذا ... صوته يوحى بالثقة .. وشعره الأشيب يوحى بالحكمة .. وفجأة قرر أن يضرب ضربته :

- « هل حاول أحد الاتصال بكم بصدد هذه القضية ؟! »

ساد الصمت .. كان الأمر أقرب إلى اتهام منه إلى سؤال .. تجمد الرجل بضع ثوان مستعدًا ليثب فى بطن أول من يرفع يده أن نعم ..

كان يعرف أنه سيظفر بالحقيقة .. ولسوف يفضحنى ويفضح فسادى .. ويشطب اسمى من المهنة نهائيًا .. وستؤجل القضية أعوامًا كاملة ..

- « هذا مهم .. يجب أن نعرف .. »

كانوا يرمقونه فى كراهية .. فصوته يشى بالشك .. ونظراته تقول : أيها السفلة الكاذبون !

- « إذن لنسألها بطريقة أخرى : هل اتصل مستر (بايلور) بأحدكم أمس ؟! »

وثبت فى جنون صائحًا :

- « اعتراض سعادتكم .. إن هذا لايطاق ! »

قال (كيلر) فى تؤدة :

- موافق .. ماذا تحاول قوله يا (دراموند) ؟ »

استدار له (دراموند) صائحًا :

- « إن لدينا من الأسباب ما يدعونا لافتراض أن المحلفين قد تم التلاعب بهم ! »

- « أنا لا أفهم يا مستر (دراموند) .. »

ثم دعانا لندنو منه .. وأزاح مكبر الصوت بعيدًا .. ثم سأل (دراموند) همسًا :

- « كيف تعلم أن هذا حدث ؟ »

- إن لى مصادرى السرية .. لكن هذه حقيقة .. »

- « أريد دليلاً .. »

- « ربما لو سمحت لى بمناقشة كل منهم على حدة ، لأثبت كلامى .. »

قلت بدورى :

ـ « لا اعترض سعادتكم .. فليس لدىّ ما أخشاه .. »

وعدنـا نواجـه المحلفيـن .. وعـاد (دراموند) يواصل كلامه :

ـ « إنه لأمر خطير أن يتصل المحلف مباشرة بأحد طرفى النزاع .. بل إن المحلف يُعاقب بشدة لو ثبت هذا .. »

لم يرفع أحد يده . لكن المحلفين راحوا يرمقونه فى كراهية .. أردف وهو ينظر إلى (بورتر) :

ـ « مستر (بورتر) .. »

فوجئ الرجل واحمرّ وجهه ..

ـ « إن لدىّ سؤالاً لك .. وسأقدر لو أجبتنى إجابة أمينة عنه .. »

ـ « سل سؤالاً أمينًا تظفر بإجابة أمينة ! »

قالها (بورتر) بغيظ .. هذا رجل قصير الفتيل .. وكنت أفضل تركه وشأنه :

ـ « هل اتصلت أمس بمستر (رودى بايلور) ؟ »

ـ « اللعنة .. لا .. »

ـ « وأنا أقول إن هذا حدث .. »

وقبل أن يقول (كيبلر) شيئا ، وثب (بورتر) من مقعده لينشب مخالبه فى حنجرة (دراموند) :

ـ « لا تقل إننى كذّاب أيها السافل ! »

وسقط (دراموند) علـى الأرض ، وتلقـى بضـع لكمات ، على حين صرخت النساء .. وهرع حجاب المحكمـة يفصلـون بينهمـا واتنفـض المحـامون هلعًا ..

ظللت فى مقعدى أستمتع بالمشهد .. بينما القاضى يدق بمطرقته .. ووقف (دراموند) أخيرًا ينفض ثيابه ، ويرمق (بورتر) بعين خائفة ...

وبعد استراحة قصيرة طلب (دراموند) رسميًا تغيير المحلفين جميعًا ، فأبى (كيبلر) .. وإن تم إبعاد (بورتر) طبعًا . كان يريد المزيد من الشجار .. وتمنيت لو ينتظر (دراموند) خارج المحكمة ليسوّى الأمر ...

وفى الساعات التالية استطاع (دراموند) استبعاد كل الأسماء التى ذكرتها فى مكالماتى مع (ديك) .. والنتيجة مجموعة محلفين لم أحلم بها .. ست نساء زنجيات كلهن أمهات .. وثلاثة رجال بيض يعملون

فى اتحادات العمال .. وزنجى هو جار لآل (بلاك) ..
إن تسعة محلفين يكفون لاتخاذ القرار ..
وأدى المحلفون القسم ..
لقد خلف (دراموند) فقدانًا تامًا لمصداقيته لدى المحلفين . ولن يستطيع الاعتذار أبدًا .. إنه لفى موقف عسير .. فالقاضى خصمه .. والمحلفون يكرهونه .. ولديه مجموعة حقائق متعفنه .. بل إنه تلقى (علقة) ساخنة كذلك ...
إن هذا أجمل مما يمكن تصوره ...

* * *

- ٢٣ -

قبل المحاكمة بأيام تلقيت مكالمة من محام يُدعى (بيتركورسا) ..
لم أدعه يكمل كلامه ، وقطعت المكالمة .. ثم هرعت إلى سيارتى . وبحثت عن رقمه وطلبته بالهاتف الذى ابتعته مؤخرًا للسيارة .. إن هذا هو الروتين الذى نتبعه منذ فترة منذ عرفنا أن هاتف مكتبنا مراقب ..
اتضح أن المكالمة مهمة جدًا ..
إن (كورسا) يعمل لفتاة تدعى (جاكى ليمانتزيك) ، وهى موظفة تمَ طردها من شركة (الفائدة العظمى) دون مبرّر .. إن الشركة زعمت لى أن (جاكى) قد استقالت .. وعرفت أنها تلقت مضايقات كثيرة بسبب جمالها فى تلك الشركة .. إن (جاكى) تعرف كل شىء عن الغسيل القذر لتلك المجموعة .. وهى تتمنى لو تشهد لكنها خائفة .. فهؤلاء الناس قذرون يملكون الكثير من المال ..

وأعطانى رقمها الهاتفى لأطلبها .. ولم أنس أن أقول له ألا يتصل بالمكتب ..

* * *

كنت أعرف أننى سأترافع ببراعة فى المحكمة ، لكن من العسير أن أطالب بعشرة ملايين من الدولارات كتعويض . لو كان عمرى خمسين عامًا لكنت على ذلك قديرًا .. لكن فى عمرى وبخبرة تسعة أشهر يبدو الأمر مضحكًا ..

لكننى سأطالب بعشرة ملايين .. إننى أطالب بها فى المكتب .. فى سيارتى .. فى فراشى وأنا مؤرق .. أحادث الاثنى عشر وجهًا الذين صرت أحفظهم تمامًا ..

سأحطم شركة (الفائدة العظمى) .

المحاكمة الكبرى غدًا ..

الجليد ينهمر .. يتمنى جزء منى أن يحدث إعصار فيتأجل (غدًا) هذا ..

وجزء آخر يتلهف على البدء ..

وأصلى كى أستطيع النوم ..

* * *

كان علىّ أن أقدم كلمة الافتتاح .. إن البروفة التى أجريتها مرارًا تقول إنها تستغرق ست دقائق .. لكننى أفعل ذلك بشكل جيد ..

رحت أشرح القضية للمحلفين . قضية (دونى راى) .. وقلت لهم إنهم سيقابلونه على شريط فيديو لأنه مات ..

ثم جاء دور (دراموند) .. واثقًا من نفسه قال : إن البوليصة لا تتضمن زرع النخاع .. ليس الموضوع موضوع أن موكله يكره (دونى راى) .. الموضوع موضوع مبدأ .. موضوع ما هو مكتوب فى الوثيقة ..

- « إنهم يطالبون موكلى بعشرة ملايين .. وأنا أسمى هذا جشعًا .. »

وفهمت خطته .. إنه سيشكك فى عملية زرع النخاع .. سيقول : إنها عملية تجريبية لا تدخل فى نطاق الرعاية الصحية العادية ..

مرة أخرى استعمل لفظ (جشع) فوثبت واقفًا أعترض ..

ثم طلب منى القاضى أن أنادى شاهدى الأول ، فناديت (دوت بلاك) .. مشت متوترة إلى المنصة وحلفت اليمين ..

كنا قد راجعنا سيناريو الأسئلة عدة مرات .. وهى تحفظ كل حرف منه .. وتعرف أن عليها ألا تدخن أمام المحلفين ..

حكت عن محاولاتها اليائسة لإقناع الشركة دون جدوى .. حكت عن الرسائل السبع التى أرسلتها للشركة ، وآخرها (خطاب الغباء) إياه .. رأيت وجوه المحلفين مصدومة غير مصدقة .. وحين انتهت ساد الصمت المحكمة ..

تركتها بعد هذا لـ (دراموند) كى يستجوبها عالمًا أنه لن يعنف بها .. لن يجرؤ ..

سألها (دراموند) :

- « لماذا تطالبين الشركة بعشرة ملايين ؟ »

كان سؤالاً خطيرًا جدًا لأنه يحاول إظهارنا بمظهر الجشعين للمال .. لكنها كانت ذكية .. فسألته بدورها :

- « فقط ؟! »

- « عذرًا ؟ »

- « ظننت المحامى قد طالب بما هو أكثر .. إن موكلك يملك بليون دولار .. وموكلك قد قتل ابنى .. أريد منه أن يدفع أكثر .. »

هنا ارتكب (دراموند) خطأً قاتلاً أخيرًا إذ سألها :

- « وماذا تفعلين بعشرة الملايين لو حصلت عليها ؟ »

لم تخيب أملى إذ أجابت :

- « سأتبرع بها كلها لـ (رابطة السرطان الأمريكية) .. فلا أريد شيئًا من مالكم العفن ! »

قال لها : شكرًا ، وعاد إلى مقعده .. وحين رأيت وجهه عرفت أنه شاحب ..

هامسة سألتنى المرأة عن أدائها .. فقلت لها : إنها صفعتهم صفعة بارعة ..

ثم جاء شاهدى التالى .. (رون بلاك) توءم (دونى) الذى قال : إن نخاع عظامه مناسب تمامًا لأخيه .. وهو كان على أتم استعداد للتبرع ..

بعد هذا طلبت شهادة د. (والتركورد) بصفته خبيرًا فى الأورام ..

راح يلخص المرض للمحلفين تلخيصًا سلسًا سريعًا .. وشرح لهم معنى سرطان الدم . ومعنى زرع النخاع .. إلخ ..

وقال : إن شركة (الفائدة العظمى) لم تدفع ثمن العلاج الكيماوى أو التشخيصى ، من ثم تدفع مسز (بلاك) الفاتورة على أقساط شهرية حاليًا ..

إن فرصة الحياة دون زرع نخاع لمريض سرطان الدم هى صفر . لكن زرع النخاع يجعلها ثمانين بالمائة ..

ولقد حاول (دراموند) أن يحاصر د. (كورد) .. حاول أن يثبت أن زرع النخاع عملية تجريبية حديثة العهد . وإلا فلماذا لا يزرع النخاع إلا لعدد محدود من مرضى سرطان الدم ؟ قال د. (كورد) : إن هذا يحدث لأنهم لا يجدون من يتبرع لهم .. لكن (دونى راى) كان يملك متبرعًا .. كان سعيد الحظ !

ولم يجد (دراموند) بعد هذا ما يقول !

لقد كان أول يوم من المحاكمة رائعًا بالنسبة لى ..

* * *

- ٢٤ -

كانت الطائرة القادمة من (شيكاغو) قد وصلت فى التاسعة ، ورأيت امرأة تضع عوينات سوداء تخرج من الصالة ومعها رجل قدمته لى باسم (كارل) ..

كانت هذه هى (جاكى ليمانتزيك) .. مفاجأتى التى قررت أن أصدم بها رجال شركة (الفائدة العظمى) .. الموظفة التى زعموا أنها استقالت ، والتى تعرف أكثر مما يجب .. والتى ظلت مختفية فى مكان لا يعرفه أحد حتى طلبتها ..

اتجهنا إلى الفندق الذى حجزت لها غرفة باسمى فيه .. إنها مطلقة فى الثلاثين من عمرها لها طفلان ، ويقال إنها جميلة لكن إنهاكها جعلنى أشك فى هذا .. وجلسنا معًا نرتب ما سأوجهه لها من أسئلة غدًا .. وما سترد به علىّ ..

صباح الثلاثاء نادانا القاضى (كيلر) أنا و(دراموند) .. وطلب منى أن أستدعى شاهدى التالى ، فقلت بأعلى صوتى : (جاكى ليمانتزيك) !

رأيت محامى شركة (بريت) يتبادلون النظرات ،

ورأيت ممثلى شركة (الفائدة العظمى) يفتحون أفواههم غير مصدقين ، بل لم يصدقوا حتى وهى تدخل وراء (ديك) إلى قاعة المحكمة .. كانت جميلة بعد إرهاق الليل .. ونظرت نظرة مقت واضحة إلى صبية (الفائدة العظمى) الجالسين .. ثم إنها أقسمت اليمين ..

وبدأت أسألها :

- « كيف انتهى عملك بشركة (الفائدة العظمى) ؟»

- « طردونى .. »

- « إذن لم تقدمى استقالتك ؟ »

- « كانت مؤامرة .. لقد طُردت بسبب أننى أعرف كل شىء عن قضية (دونى راى بلاك) .. وكنت مطلوبة للشهادة بعد يومين .. لهذا طردونى .. لكنهم جعلونى أوقع خطابًا فيه صيغة استقالة مقابل الحصول على عشرة آلاف دولار .. وأنا أمّ وحيدة علىّ فواتير كثيرة .. لهذا اضطررت إلى التوقيع .. »

- « ولماذا عدت هاهنا ؟ »

- « لأننى تحدثت مع محام بارع ، قال لى : إن ما وقّعته برغمى ليس ذا أهمية قانونية .. لقد طردنى

هؤلاء الناس دون ذنب .. بعد ما ضايقونى بسبب جمالى أعوامًا طويلة ولمجرد أننى وحيدة فقيرة .. »

- « وماذا عن ملف آل (بلاك) ؟ »

- « رفضت الشركة الدفع لأن سياسة الشركة كانت هى الرفض لكل المطالبات فى ذلك العام .. بعدها نراجع الملفات .. فإذا استعان أصحاب بوليصة التأمين بمحام أو اشتكوا ، عندها يتم النظر فى مطالبتهم .. ولا بأس بدفع المبلغ .. لقد جربت الشركة هذا لمدة عام كامل .. والنتيجة هى أننا وفرنا قدرًا هائلاً من المال استثمرناه لفترة لا بأس بها .. »

- « وكم ربحتم من هذا ؟ »

- « ربحنا أربعين مليونًا فى عام واحد .. »

- « وهل كنتم تعرفون أن مطالبة (دونى راى) صحيحة ؟ »

- « بالطبع .. كنا نعرف أننا سندفع حتمًا .. لكننا رحنا نجرب حظنا .. إن واحدًا من كل خمسة وعشرين مؤمنًا يوكّل محاميًا .. أما الباقون فهم أشخاص غير متعلمين لا يعرفون حقوقهم .. ويقبلون رفضنا للدفع باعتباره مسلمًا به .. »

- « شكرا .. »

جاء دور (درامونـد) ، وأدركت أنـه فـى ورطـة حقيقية .. سألها :

- « هل أنت هنا بسبب غضبك على شركة (الفائدة العظمى) ؟ »

- « أنا أمقت تلك الشركة .. وكل الديدان التى تديرها .. هل هذا يجيب سؤالك ؟ »

- « وهل المقت هو سبب شهادتك هذه ؟ »

- « لا .. أنا هنا لأنـى أعرف كيف خدعوا آلاف الأبرياء .. وبحب أن أتكلم .. »

ولم يكن لدى (دارمونـد) كثير ممـا يقـال .. لـذا أنهى استجوابها ..

وأنهى القاضى بدوره الجلسة للغداء ..

* * *

عاد المحلفون لمقاعدهم بعد الغداء ، وتلقيت بعض الابتسامات منهم .. لقد كـانت شـهادة (جـاكى) هـى موضوع حديثهم بالتأكيد ..

طلبت بعد هذا شهادة (ولفرد كيل) .. وهو من مديرى شركة (الفائدة العظمـى) ، ناولتـه بوليصـة

التأمين التى طبعتها الشركة حديثًا ، والتى أعطانيها (لوبيرج) :

- « هل تعرفت هذه ؟ »

قال بسعادة وهو يتصفحها :

- « نعم .. إنها بوليصة خاصة بشركتنا .. »

- « منذ متى ؟ »

- « من ديسمبر ١٩٩٢ .. منذ خمسة أشهر .. »

- « أرجـو أن تفتـح صفحـة ١١ الفقـرة الرابعة .. هلا قرأتها ؟ ما معنى هذه الجملة ؟ »

- إنها تستبعد جراحات الزرع من تغطية البوليصة .. »

ناولتـه البوليصـة القديمـة الخاصـة بـآل (بـلاك) ، وسألته :

- « هل هذه البوليصة تستبعد زرع النخاع ؟ »

- « كلا .. »

- « حسن .. لقد تمَّ رفع القضية ضـد شركتكم فى يونيو المـاضى .. أى أن البوليصـة تغيرت بعد رفـع القضية .. »

الأمر واضح تمامًا .. لقد أدانوا أنفسهم بأنفسهم .. وكان شاهدنا الأخير هو (دونى راى بلاك) نفسه ..

أظلم حاجب المحكمة القاعة وأدار شريط الفيديو ، فرأينا وجه الفتى يملأ الشاشة .. صوته المنهك السقيم كان المحلفون متعاطفين جدًا ، وحتى أنا شعرت بغصة فى حلقى ، بينما (دوت) تنهنه بالبكاء جانبى .. لقد سمع الجميع صوتها . صوت أم تحاول أن تكتم دموعها ..

ساد الصمت بعض الوقت بعد انتهاء الشريط .. لقد أحدثنا كل ما أردنا من أذى ، ويمكن القول إننا ربحنا القضية ..

* * *

- ٢٥ -

بدأت الأنباء تتوالى عن قضايا فى ولايات أخرى ضد شركة (الفائدة العظمى) .. لقد ثقبنا السدّ ولم يعد شىء قادرًا على منع السيل والفيضان ..

وفى العاشرة مساء ذلك اليوم دق جرس الهاتف فى شقتى .

صوت امرأة قلقة تقول لى :

- « أنت لا تعرفنى .. لكنى صديقة (كيلى) .. »

هببت فزعًا ومددت يدى أبحث عن زر الإضاءة ..

- « ماذا حدث ؟ »

- « لقد ضربها مرة أخرى .. عاد إلى البيت ثملاً أمس كالعادة .. إنها هنا فى شقتى .. لاكسور .. لكن الشرطة قبضت على (كليف) ! »

كنت لم أنس (كيلى) البائسة التى اختارت البقاء مع زوجها المجنون .. وكنت أعرف أن هذا اليوم آتٍ لامحالة ..

حصلت على العنوان ، وارتديت ثيابى ، وهرعت إلى هناك ..

كانت (كيلى) على الأريكة ، وكيس ثلج على جبهتها ..

سمعت صوت المزلاج يفتح .. سألتنى (روبين) ..
- اسم الصديقة - عن هويتى .. ثم سمحت لى بالدخول ..

كانت (كيلى) على الأريكة ، وكيس ثلج على جبهتها .. الكدمات تملأ وجهها وساقيها .. وضمادة على رأسها .. دمعة فى عينيها إذ تقول :

- « شكرًا على قدومك .. »

ربت على خدها .. إننى قادر على قتله الآن ..

تقول صديقتها :

- « لقد عاد للدار ثملاً .. وجد فواتير الكريسماس تنتظره .. عندها ثار .. وأنت تعرف الباقى .. لقد أحضرتها من عنبر الطوارئ اليوم ، وأخذتها إلى مركز لضحايا العنف ، وهناك نصحوها برفع قضية طلاق ، ثم الفرار بعيدًا .. لقد ضربها بحزام .. لحسن الحظ لم يجد مضرب الكرة .. »

مسحت دمعة (كيلى) وسألتها :

- « ماذا تنوين عمله ؟ »

بعصبية صاحت (روبين) :

- « هل تمزح ؟ طبعًا ستطلب الطلاق وإلا سيقتلها .. »

- « حسن .. سأطلقها منه غدًا .. »

- « مشكلة أخرى هى أنها لايمكن أن تظل هنا .. (كليف) قد غادر السجن .. وهو يتصل بأصدقائها .. اتصل بى ظهرًا فأنكرت وجودها ، ثم اتصل بعد ساعة ليهددنى .. إن (كيلى) ليس لها أصدقاء كثيرون ولن يطول الوقت قبل أن يأتى هنا ليفتش الشقة .. »

- « حسن .. إلى أين تذهبين يا (كيلى) ؟ »

قالت (روبين) :

- « حسن هناك مركز سرى .. ملجأ للنساء ضحايا العنف لايعرفه أحد .. ولايستطيع الرجال العثور على زوجاتهم الحبيبات هناك .. لكنه يكلف مائة دولار يوميًا .. »

هزت (كيلى) رأسها وقالت : إنها راغبة فى الذهاب هناك .. فقلت لها : إننى سآخذها هناك غدًا .. تنهدت (روبين) فى ارتياح .. وقالت :

- « انظر يا (بابلور) .. أنت لاتعرف (كليف) .. إنه مجنون وحقير وثمل .. وعليك أن تكون حذرًا .. »

- « لاتقلقى .. »

- « وقد يكون بانتظارك فى الخارج الآن .. »

وأوصلتنى إلى الباب فخرجت .. وسمعت صوت المصراع والسلسلة .. أعدك يا (كيلى) أن هذا لن يحدث ثانية ..

عدت لمكتبى .. إنها الواحدة صباحًا .. إن إجراءات الطلاق سهلة على كل حال .. ورحت أكتب مذكرة بطلب الطلاق .. ففى هذه المرة أنا واثق من أننى أنقذ حياة إنسان ..

* * *

أصيب (ديك) بذهول حين جاء صباحًا ، ليجدنى ساهرًا فى كتابة أوراق قضية الطلاق .. أفى هذا الوقت والجلسة النهائية بعد ساعتين ؟

- « اطمئن يا (ديك) .. سأكون بخير .. »

وأخذت الأوراق معى إلى المحكمة ..

* * *

الميزة الكبرى لأن تكون مبتدئًا هي أن الجميع يتوقع أن تكون خائفًا مرتبكًا .. ومن الخطأ أن أتظاهر بما ليس فيّ .. ربما بعد أعوام طويلة وعشرات المحاكمات يكون في وسعي أن أقف أمام المحكمة وأبدو رائعًا .. لكن ليس اليوم ..

أنا لست سوى (رودي بايلور) .. صبي عصبي يسأل أصدقاءه المحلفين أن يساعدوه في بداية حياته ..

بدأت ألقي مرافعتي النهائية أمام المحلفين .. قلت لهم : إنه لن يكون هناك غد ، ولا فرصة أخرى ، لن يكون هناك محلفون آخرون .. إن (دوني راي) ينتظر الانتقام .. شركة (الفائدة العظمى) ثرية جدًا ، فكيف تعاقب شركة بهذا الثراء ؟ وهنا استعملت مثالاً يحبه المحامون كثيرًا .. ماذا لو كان في حسابي المصرفي عشرة آلاف دولار .. وارتكبت خطأ ما ؟ سأطالب بدفع تعويض .. كم من حسابي يجب أخذه كي أهتم بالموضوع ولا أفعلها ثانية ؟ إن واحدًا بالمائة يساوي مائة دولار .. وهذا لن يؤذيني ..

خمسة بالمائة قد تكفي لتعذيبي ؟ ربما .. لكن لو دفعت عشرة بالمائة ــ ألف دولار ــ فلسوف يحزنني هذا جدًا ، ويدفعني إلى تغيير أساليبي .. لهذا أطالب المحلفين بغرامة تؤذي لكنها لا تحطم .. عشرة ملايين دولار تبدو لي مناسبة ..

وشكرتهم .. وعدت لمجلسي .. وجاء دور (دارموند) العظيم ..

قال (دارموند) : إن موكله أخطأ دون شك ، لكن موكله لديه ستة آلاف موظف تصعب مراقبتهم جميعًا .. إن الشركة قد نظفت نفسها من كل المخطئين .. فما هي جدوى دفع تعويض ضخم ؟ من الخطأ أن تأخذ المال من شركة كبرى لمجرد أنه موجود ..

ثم انخفض صوته ، وصارت كلماته أبطأ .. إنه الإخلاص المجسد الآن .. وأنهى كلمته ..

جاء دوري لأنني أول من تكلم .. بدأت بمدح مهارة (دراموند) .. ثم تحدثت عن كون الشركة الآن تعترف بالخطأ .. لماذا تعترف الآن به برغم أنها كانت مصرة على أنها محقة في البداية ؟ لماذا ؟ لأنهم كانوا يأملون أننا لن نعرف الحقيقة .. وأنهم لن يدفعوا شيئًا على الإطلاق ..

الآن نعرف الحقيقة .. لذلك يتحدثون بتواضع ويطلبون دفع مبلغ أقل .. وعدت إلى مقعدى ..

وهكذا انتهت المحاكمة بكل ما فيها من قلق وعناء ..

ترك المحلفون ليتداولوا .. وبدأ الانتظار ..

* * *

اتجهت إلى حيث قمت بتسجيل طلب طلاق (كيلى) .. وعرجت على مكتب القاضى (كيلر) فهنأنى وشكرته للمرة الألف ..

ثم إنه مهر أوراق الطلاق بإمضائه . كما وقع على طلب (كيلى) بعدم تعرض زوجها لها .. ثم ناولت (بوتش) المخبر الخاص أمر المحكمة ليسلمه لـ (كليف) ..

وانتظرنا فى المحكمة ساعة ..

واستأذنت من القاضى نصف ساعة ، لآخذ (كيلى) كى أنقلها إلى ملجأ ضحايا العنف .. ذهبت إليها ولم يكن معها حقائب ولا شىء .. ناولتها أمر المحكمة بالطلاق .. فسألتنى :

- « متى يصله هذا الأمر ؟ »

- « إنه يقرؤه الآن ! »

- « سيجن .. »

- « هو مجنون بالفعل .. »

- « سيطاردك . إن اسمك على الأوراق وعنوانك .. »

- أتمنى لو يفعل .. لكن لا .. إنه جبان .. الرجال الذين يضربون زوجاتهم هم ألعن نوع من الجبناء .. وعلى كل حال أنا أحمل مسدسًا .. »

وأوصلتها إلى الملجأ الذى تديره امرأة ، ووعدتها أن أمرّ عليها ليلاً ، فطلبت أن أحضر معى لها فطيرة (بيتزا) ..

وعدت للمحكمة لأجد الجميع ينتظر ..

إنها الثالثة بعد الظهر .. وبدأت أوقن أننى خسرت القضية .. إن الأمر لم يكن ليحتاج إلى كل هذا الوقت .. أظننى وثقت بنفسى أكثر من اللازم لعلى سأنتهى كرقم إحصائى آخر .. نموذج للطريقة التى يكافح بها المحامى فى (ممفيس) ثم يخسر قضيته برغم كل شىء ..

هنا نادونا لقاعة المحاكمة .. فدخلنا وجلسنا ..

وجوه المحلفين لاتظهر شيئًا .. يسألهم القاضى :

- « هل وصلتم إلى قرار ؟ »

- « وصلنا سعادتكم .. »
- « هل هو مكتوب كما طلبت ؟ »
- « نعم سعادتكم .. »
- « إذن قف واقرأه .. »

يمسك المحلف بقصاصة ورق .. تنفس عسير وأوشك على الإغماء .. (دوت) بجوارى أكثر هدوءًا .. فالقضية انتهت بالنسبة لها .. لقد كسبت معركتها مع (الفائدة العظمى) ولا شىء يهمها بعد ذلك ..

يقول المحلف بعدما تنحنح :

- « لقد وجدنا أن الشركة مذنبة .. وأن من حق المدعى المدنى تعويضًا ، قدره خمسون مليونًا من الدولارات !! »

دوت شهقة من خلفى .. وساد الصمت لبضع ثوان ..

لقد انفجرت القنبلة .. والآن يفتش كل إنسان جسده بحثًا عن جراح مميتة .. كتبت الرقم فى الورقة أمامى .. وحاولت ألا أبتسم .. أريد أن أرقص فوق المنضدة .. أهرع إلى القاضى أعانقه .. أجرى للمحلفين ألثم أقدامهم ..

لكنى تماسكت وهمست لـ (دوت) : « تهنئتى ! »

وعلى الورقة أمامى كتبت : (دونى راى بلاك) ..

وحاولت تذكر وجهه كما أحبه .. فى ملعب الكرة يلتهم الفيشار .. سعيدًا لمجرد أنه هناك ..

عيناى تبتلان دمعًا ..

القاضى يشكر المحلفين .. نظرت إلى (دارموند) ورجاله يضعون الأوراق فى حقائبهم .. إنهم مشتاقون لترك هذا المكان .. سيظل اسمهم مقرونًا بأكبر تعويض فى تاريخ ولاية (تنيسى) ما عاشوا ..

كان المفترض أن أصافحهم كما يفعل السادة المهذبون .. لكنى لا أحب ذلك .. لم أصر ثريًا بعد لأن الاستئناف سيستغرق عامًا وربما عامين .. فالمبلغ فادح .. لكن كل من يعرفنى يحاول الآن القيام بعملية حسابية بسيطة :

كم يبلغ ثلث الخمسين مليونًا بالضبط ؟!

كانت (دوت) قد بدأت تنهار . وهزمتها الدموع أخيرًا .. فبكت ..

المحكمة تخلو من الحضور .. وبدأ الظلام يسود .. لكننا لم نتحرك ..

* * *

أخيرًا أشعر أن قدرًا كبيرًا من السمّ قد فارق روحى . فلمدة عام عشت مع كراهية عنيفة لكيان اسمه (الفائدة العظمى) ، كنت أحمل له سمًا زعافًا .. لكنى لم أعد أحمل لهم ضغينة الآن ..

اتجهت إلى (كيلى) أزف لها نبأ النجاح العظيم ، ووجدتها راغبة فى الحصول على ثيابها التى تركتها فى دارها .. فهى لم تستبدل ثيابها بعد ..

وعدتها بذلك حين تسنح الفرصة ..

وفى مكتبى دق جرس الهاتف ، فرفعت السماعة لأسمع من يقول لى :

- « هنا (كليف رايكر) ! »

ضغطت على زرّ التسجيل فورًا .. بينما قال لى فى غلظة :

- « أين زوجتى ؟ »

- « من حسن حظك أنها ليست فى المشرحة الآن .. »

- « سأحطم عظامك أيها الوغد ! »

- « استمرّ فى الكلام أيها القوى .. فأنا أسجل ما تقول .. »

وضع السماعة على الفور .. ورحت أرمق الهاتف فى قلق .. ثم إننى طلبت (بوتش) وأخبرته بما حدث .. كان (بوتش) حانقًا على الفتى لأنه سبّه أمس بأغلظ الألفاظ حين سلّمه حكم المحكمة .. (بوتش) يحب أن يكون فى الموضوع لأن لديه أصدقاء (فتوات) .. سيذهب معهم للفتى ويهدده إذا ضايقنى ..

هذه هى فكرة (بوتش) عن الاستمتاع بالوقت ..

* * *

الصحف كلها تتحدث عن القضية وعنّى ..

عرفت أن شركة (الفائدة العظمى) قد رفعت قضية إهمال ضد شركة (ترنت) التى يمثلها (دراموند) .. إن فكرة أن ترفع شركةَ تأمين قضية ضد (ترنت) لهى فكرة رائعة حقًا .. ابتسمت كثيرًا لتصور هذا ..

وفى يوم الاثنين قررت و (كيلى) أن نذهب لاسترداد ثيابها .. إن زوجها سيلعب الكرة فى هذا الوقت ، وهى مباراة حيوية لا يمكن أن يضيعها ..

كنت عصبيًا .. بل كنا خائفين ..

معى المسدس على كل حال .. قدرت (كيلى) الوقت اللازم بعشر دقائق .. فنصحتها ألا تتجاوزها لأن هناك جيرانا قد يروننا .. ويبلغونه ..

دنوت بسيارتى من دارها .. وتوقفت ..

- « هل أنت خائف ؟ »

- « نعم .. »

ودخلنا الدار فى الظلام .. كان هناك ضوء فى المطبخ وهو كاف للرؤية .. علب البيرة فى كل مكان وبقايا فطائر البيتزا .. طلبت منها أن تسرع ووضعت المسدس بقربى .. دخلنا غرفة النوم وراحت تضع ثيابها فى الملاءة .. وحزمتها وخرجت لأضعها فى المقعد الخلفى .. عدت لآخذ المزيد وقلبى يتواثب ..

- « هذا كاف .. لن تستطيعى أخذ كل شىء .. »

مزيدًا من الفساتين على شماعات ، وأكياس وسادات ملأى ..

فجأة سمعنا ضجة .. ثمة من يحاول الدخول !

وقبل أن نفهم فوجئنا بالباب ينفتح ، ودخل (كليف رايكر) .. ووجدت أننى أقف أمامه .. لقد كان كمينًا لنا ! عيناه الحمراوان وفى يده مضرب الكرة يصوبه

نحو رأسى : « أيها الوغد ! » .. هكذا صرخ وهوى به علىّ ..

تمكنت من التنحى فى آخر لحظة .. وهوى المضرب ليهشم منضدة خشبية ..

ركلته بجنون .. أين المسدس ؟ ورأيته ينهض ويوجه لى ضربة أخرى لم تصب الهدف .. قلت لنفسى : لن أمنحه ضربة ثالثة .. وعلى الفور لكمته فى وجهه ثم ضربته فى أسفل ذقنه ، فصرخ ..

سقط المضرب من يده .. فأمسكته وهويت على أذنه اليسرى .. سمعت صوتًا مخيفًا لعظام تتهشم .. سقط أرضًا وحاول أن ينهض . لكن ضربتى الثانية هوت على رأسه بكل مقتى وخوفى .. فصرخت (كيلى) :

- « توقف يا (رودى) ! »

نظرت لها .. ورأيته يحاول أن يقول شيئًا ثم همدت حركته ..

- « سأقتل الوغد ! »

- « لا ..! هات المضرب هات المضرب ! »

أدهشنى هدوؤها .. فناولتها المضرب .. وإذا بها تدفعنى إلى الباب :

- « ارحل .. أنت لم تكن هنا الليلة .. أنا من قتلته .. ارحل ! »

لم أستطع عمل أى شىء سوى النظر خلفى .. استرددت مسدسى واتجهت للباب مبلبل الفكر ..

بعد عشر دقائق وصلت أول عربة شرطة .. ثم الإسعاف ..

كنت فى سيارتى على مسافة آمنة أراقب المشهد .. ولاحظت أن رجال الإسعاف ليسوا على عجلة من أمرهم .. (كيلى) وحدها بالداخل تجيب عشرات الأسئلة .. وهأنذا أجلس كالسيد (جبان) أتمنى ألا يرانى أحد .. لماذا تركتها ؟ لا يمكن أن يموت .. أريدهم أن يعيدوه للحياة . أنا أستطيع أن أتعامل معه كشخص حىّ .. هلم يا (كليف) .. انهض !

وهنا أدركت أنهم سيضعونه فى عربة المشرحة لا الإسعاف ..

ملأ الزحام المكان .. تظهر (كيلى) محاطة بالشرطة لكنها غير مكبلة بالأصفاد لحسن الحظ .. تبدو رقيقة خائفة ..

* * *

توجهت إلى المخفر بصفتى محاميها وطلبت مقابلتها ..

كان المحقق يستجوبها حين وصلت وقدمت نفسى .. فلم يصافحنى وبحنق قال :

- « أنتم يا سادة تسافرون سريعًا .. هه ؟ »

- « لقد اتصلت بى بمجرد أن استدعتكم .. »

- « حسن .. تقول إنه حاول قتلها فاضطرت هى إلى ضرب رأسه بالمضرب .. »

وعرفت أن البائسة ستقضى ليلتها فى السجن .. لا يمكن إخلاء سبيلها بضمان محل إقامتها .. ربما يمكن خروجها بكفالة فيما بعد ..

* * *

راحت الوساوس تحتشد فى ذهنى ..

كم جارًا لها رأى شخصًا غريبًا يغادر المنزل ؟ لماذا لم أطلب الشرطة وأرو الحقيقة ؟ لكن من الذى يستطيع أن يفكر بتعقل وقد تحول خلال عشر ثوان من ضحية إلى قاتل ؟

ماذا لو أثبت البوليس أنها لم تتصل بى قط ؟ ماذا لو أثبتوا أنها لم تستخدم سيارتها منذ أيام فكيف تزعم أنها جاءت بها ؟

طمأنتنى (ديك) حين عرف القصة . وقال لى إنه ما من محلف فى العالم يمكن أن يدينها .. فتقارير الشرطة التى تثبت إصاباتها السابقة موجودة ..

عرفت بعد هذا أن السجن يتلقى عشرات المكالمات تهددها بالقتل .. إن أقارب (كليف) كلهم مجانين مثله . وكلهم يشربون .. لهذا تتوقع (كيلى) أن يطاردوها للانتقام ..

* * *

- ٢٨ -

قمت بإنهاء الإجراءات كلها ، ودفعت خمسمائة دولار كفالة .. واصطحبت (كيلى) إلى سيارتى بينما (بوتش) - مدججًا بالسلاح - يحرسنا .. ثم أخذتها إلى ملجأ ضحايا العنف ..

وفى ذات اليوم تقدم محامو شركة (الفائدة العظمى) بطلب فى المحكمة لإشهار إفلاسهم .. إن الشركة تزعم أنها لا تملك مالاً .

جلست و(ديك) فى المكتب صامتين بعد تلقى النبأ .. كان (ديك) قبل هذا عاكفًا على حساب أرباحه ، والآن جلس صامتًا وقد أدرك أنه هو الاخر قد أفلس ..

إن شركات التأمين لها ملفاتها الخاصة المفبركة بحيث يستحيل معرفة حقيقة ما لديها من نقد . عرفت أن الوقت مبكر لمعرفة الحقيقة .. لكن يقال أن للشركة وسيلة لتهريب المال إلى أوربا .. حيث يتم غسله بمعرفة مؤسسة أمريكية لها مكاتبها فى (سنغافورة) ..

إن هذه الفوضى ستستغرق شهورًا حتى تُحلَ .. إنهم

نصابون أكثر حصافة من أن يتم القبض عليهم .. لن يحصل أحد على شىء فيما أظن .. إن الأمل واه جدًا .. وذات الشىء سيصيب (دراموند) الذى سيعجز عن تحصيل فواتيره الباهظة من الشركة ..

إن التعاسة تحب الصحبة .. لكن كون هناك من سيعانى مثلى لا يعزينى إلا قليلاً .. فأنا أكثر واحد قد خسر فى هذا الموضوع ..

دقّ جرس الهاتف ، فرفع (ديك) السماعة وأنصت .. ثم قال بلا مبالاة :

- « هناك من يقول إنه سيقتلك ! »

- « ليست هذه أسوأ مكالمة تلقيتها اليوم .. »

« لا يهمنى الآن لو رمانى أحد بالرصاص ! »

* * *

تلقيت مكالمة من (روجررايس) المحامى الجديد لمس (بيردى) ..

هنأنى على قضية آل (بلاك) .. ثم أخبرنى أن مس (بيردى) تعانى سوء المعاملة فى (فلوريدا) .. إن أبناءها قد ذهبوا إلى (أطلانطا) ليعرفوا حقيقة ما تملكه الأم .. واتضح كل شىء .. لقد كانت تعابثهم ..

وقد قررت مس (بيردى) العودة لدارها فى (ممفيس) ..

وحين عرفت بموضوع الخمسين مليونًا قالت :

- « لا بأس .. ليس هذا شيئًا بالنسبة لجناينى مثل (رودى) ! »

* * *

انهيت كل إجراءات قضية (كيلى) ، واقتنع القاضى بألا تكون هناك محاكمة .. بعد ما أقرّ ممثل الادعاء ذاته أن الحالة حالة دفاع عن النفس ..

وإن حذرنى القاضى أن أقارب (كليف) مجانين .. يتصلون مائة مرة فى اليوم به ، مطالبين بإعدامها دون محاكمة .. لمجرد أنهم يريدون ذلك ..

وفى اليوم ذاته انطلقت رصاصة لتدخل من نافذة مكتبى ، وتحدث ثقبًا فى الجدار .. لم يكن هناك سوى (ديك) الذى أصابه الهلع .. واتصل بـ (بوتش) كى يلحق به حالاً .. لكن الحادث لم يتكرر ..

* * *

قمت بتنظيف الشقة لـ (مس بيردى) .. ثم توجهت إلى المكتب كى أنهى صفقتى مع (ديك) .. لقد قررت

أن أنفصل .. سيحصل (ديك) على ملفات القضايا التى يريدها .. وأحصل أنا على نصف مدخرات المكتب منذ بدأنا العمل .. إن (ديك) سيبحث عن محام آخر يعمل تحت رخصته ..

قال لى (ديك) :

- « لقد اتصل بى (بروزر) لمس !! »

- « أين هو ؟ »

- « فى جزر البهاما ! »

- « وهل (برينس) معه ؟ »

- « نعم .. لقد فعلاها ! »

أراهن على أن (ديك) كان يعرف هذا منذ زمن .. ثم قال لى :

- « هل تعرف أن مالهما مازال هنا ؟ أربعة ملايين نقدًا .. »

- « أين ؟ »

- « تحت أرضية ورشة .. إنه يعدنى بعشرة فى المائة لو نقلت المال إلى (ميامى) .. وسيتولى (بروزر) الباقى .. »

- « لا تفعل يا (ديك) .. سيقبض عليك .. »

- « أشك فى هذا .. إن الفيدراليين لم يعودوا يراقبوننا .. »

- « وهل هو محتاج إلى المال ؟ »

- « لا أدرى .. لكنه بالتأكيد يريده بشدة ! »

- « لا تفعل .. »

- « إن الأمر سهل .. قطعة من الكعك .. »

كنت أعرف أنه سيفعلها .. إنها فرصته الأخيرة ليكون ثريًا ..

تعانقنا حتى كاد يخنقنى .. وقال لى :

- « إنك قد صنعت التاريخ يا (رودى) .. »

- « بل صنعناه معًا .. »

وكانت عيناه دامعتين .. راح يبتعد ببطء وأنا أرمقه فى صمت ..

* * *

كتبت مذكرة أودع فيها مس (بيردى) ، وتأكدت من غلق الشقة التى رأت أحسن وأسوأ أيامى .. ثم ركبت السيارة إلى الملجأ ..

كانت (كيلى) تنتظرنى فى قلق ، ومعها حقيبة جلدية فيها كل ما تملك .. وقعنا الأوراق وشكرنا صاحبة الملجأ .. وركبنا السيارة ..

سألتها :

- « إلى أى اتجاه ؟ »

وضحكنا لأن كلينا لا يعرف له وجهة .. وقالت :

- « أريد ان أرى الجبال .. »

- « إذن هو الغرب .. »

- « أريد رؤية الثلوج .. »

- « ربما وجدنا بعضها هناك .. »

أراحت رأسها على كتفى .. ودخلنا (أركنساس) ، واختفى من خلفنا جسر (ممفيس) ..

سنعيش فى مكان لا يجدنا أحد فيه .. أريد أن أترك وشأنى .. لا شىء عن (بروزر) ولا (الفائدة العظمى) .. لا أريد أن تطلبنى مس (بيردى) لحل مشكلة قانونية .. ولا أخبار عن (كليف) وأهله المجانين ..

إنها ستكمل دراسة الكلية فهى مازالت فى العشرين من عمرها .. وأنا أريد أن أدرس التاريخ .. لن أمارس عملاً له علاقة بالقانون أبدًا .. سأترك رخصتى حتى تفقد صلاحيتها .. لن أضع قدمى فى محكمة ثانية ..

ابتسمنا بينما الأرض تستوى أمامنا ، وحركة المرور تقل .. لقد صارت (ممفيس) على بعد عشرين ميلاً وراءنا ..

عندها أقسمت ألا أعود أبدًا ..

جون جريشام ـ ١٩٩٥

* * *

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

روايات عالمية للجيب

صانع الأمطار

وحيدًا .. مفلسًا .. حديث التخرج .. يحاول (رودى) المحامي الشاب أن يواجه فساد شركة تأمين ضخمة ، تقف ضده بجيش من المحامين المتمرسين ذوي الخبرة .. ولايملك (رودى) في هذه الحرب المخيفة سوى إيمانه بأن موكله قد ظلم ظلمًا فادحًا .. فهل ينجح ؟

بأسلوبه الساحر وسخريته اللاذعة ، ينجح (جون جريشام) في جعل هذا الصراع صراعًا شخصيًا تتوتر له ... اللحظة الأخيرة ..

20

الثمن ...
وما يعاد... بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
ألف ليلة وليلة الجديدة